اعرف نفسك

تأليف : بول هرفيو

ترجمة السيدة نعمات عبد الله رشدي

مراجعة فؤاد كامل عبد العزيز

تقديم الدكتور أنور لوقا

روائع المسرح العالمى

٤٩

اعرف نفسك

تاليف : بول هرفيو

ترجمة السيدة نعمات عبدالله رشدى

مراجعة فؤاد كامل عبدالعزيز

تقديم الدكتور أنور لوقا

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مقدمة

بقلم الدكتور أنور لوقا

مدرس الأدب الفرنسى بجامعة عين شمس

بيننا وبين « پول هرڤيو » ، المتوفى سنة ١٩١٥ ، نصف قرن من الزمان . وصاحب هذا الاسم — الذى كاد ينساه جيلنا — كان محط الأنظار والأسماع فى عصره . لمع نجمه فى سماء الأدب الفرنسى وفى سماء المجتمع الباريسى الراقى — وكانت سماء واحدة اذ ذاك — حتى ظن الناس أن فنه وفكره وتجديده سيبقى على الأيام ذخرا يفخرون بتوريثه للخلف . لقد كانوا يرونه فى « الصالونات » رجلا أنيقا ممتازا ، وفى المحافل خطيبا بليغا ومحاضرا جذابا ، تحيط به هالة الجلال والحكمة التى يزدهى بها أعضاء الأكاديمية الفرنسية . وكانوا يطالعون الصحف والمجلات فيقرأون له كثيرا ، ويقرأون عنه كثيرا ، ثم يحرصون على مشاهدة مسرحياته لا سيما اذا قدمتها لهم فرقة « الكوميدى فرانسيز » العريقة ، فيعجبون بموضوعاتها وأسلوبها ويهزون جنبات الدار بتصفيقهم هزًا .

غير أن الخمسين سنة الماضية أخمدت وميض تلك الشهرة فى عيوننا . أبعدتنا ، بل فصلتنا عن ذلك الجو ، وأسدلت دوننا على أوائل القرن العشرين ستارا قاتما من النسيان . وها نحن أولاء أصبحنا وكأننا لا ننتمى الى هذا القرن ، أو كأن تلك الحقبة منه لا تمت لحياتنا بصلة !

وما الذنب ذنبنا اذا جحدنا « پول هرڤيو » ، وانما هو ذنب الحربين العالميتين العظميين ، فقد غيرتا وجه الدنيا ، وحولتا مجرى الفكر الانسانى ، وقلبتا الأوضاع والقيم بحيث انهارت حدود وسدود ، وسقطت معالم كثيرة ، وبرزت صورة جديدة للعالم أمامنا ، توارت وراءها جوانب هامة من مدارج آبائنا . علينا اذن أن نخترق حجابا من التاريخ لنكشف عن أديب « معاصر » قد يدهشنا أنه عاش مثلنا فى القرن العشرين!

وتظهر لمن يتتبع سيرة « پول هرڤيو » تجربة واضحة الدلالة على اتجاه الأدب فى تلك الفترة التى نحس بعدنا عنها رغم قربنا منها . لقد بدأ بالتمرد والهجاء . نازعته الى الثورة على المجتمع نفس أبية أغضبها الفساد المتفشى . غير أنه انتهى الى كبح جماح سخطه ولزوم جانب النقد المهذب ، لكى يحتفظ بمكانه فى أحضان هذا المجتمع ، ولكى يحظى بأقصى ما يستطيع أن يصيب من نعمة . ولعل هذا التطور من الهجوم

الى المسالمة ، ومن الشدة الى اللين ، ومن المعارضة الى مجاراة التقاليد هو الذى يخلع على « پول هرڤيو » مسحة القدم بالنسبة الى عصرنا الحاضر — عصر الثورة على كل زيف ، عصر الغضب والعنف ، وتحدى العبث فى حياة الانسان باطلاق ارادة الفرد الوجودية . ولكن هذا الازدواج فى شخصية « پول هرڤيو » قد أدى الى صراع دفين ، صراع مؤثر لا ينبغى أن يتغاضى عنه المؤرخ ، لأنه يشهد بوطأة مجتمع معين على الأدباء .

لم ينشأ « پول هرڤيو » فى بيئة من بيئات الثقافة والأدب. كان أبوه من أعيان التجار فى منطقة « كان Caen » . واشتغل كذلك بالتجارة جميع اخوته . وبات من الطبيعى أن يسلك « پول » نفس السبيل . ولكن فارق السن بينه وبين جميع أفراد عائلته يسّر له أن يستقل بميوله وذوقه ، وأن يتحول الى طريق آخر . فقد كان يصغر اخوته الأربعة بعشر سنوات على الأقل ، وكان أبوه قد بلغ السادسة والخمسين من العمر ، عندما أنجبه سنة ١٨٥٧ .

وتميز « پول هرڤيو » منذ طفولته بشعور مرهف وحياء جم . وسرعان ما تجلى ذكاؤه ، واشتد حبه للاستطلاع . ومن المأثور عنه أنه كان مولعا فى صباه بحل الألغاز التى تنشرها

الصحف ، وأنه كان يحمل أينما ذهب صندوقا صغيرا اقتنى فيه جميع الأدوات التى يحتاج اليها فى اصلاح ما يريد من المتاع ، ولا سيما فى تفكيك وتركيب عدد الساعات . ولن تفارقه تلك العقلية المدققة ، وانما ستنصرف — بعد نضجه — الى تحليل عواطف النفس البشرية ، وتشريحها ، للكشف عن النوازع الخبيئة وراء ما يأتيه الناس من أفعال . وسوف يدفعه الى الامعان فى حياة الانطواء والتأمل ضعف بنيته ، وتعرضه الدائم للأمراض ونزلات البرد ، واضطراره — ايثارا للصحة والعافية — الى الامتناع عن كل نشاط عضلى شاق . وهكذا تنمو ملكاته الباطنية ، ويعتاد الملاحظة والتفكير والنقد ، ويختزن فى عقله وقلبه من الخواطر والانفعالات زادا وفيرا لكتاباته المقبلة .

ألحقته أسرته أولا باحدى مدارس « نويى — سور — سين Nauilly-sur-Seine حيث كانت تقيم فى ضواحى باريس . ولم يعتمد فى فهم دروسه وأداء واجباته على أحد من اخوته — فقد سبقوه بمراحل — وانما اعتمد على جهده الخاص وأصبح أستاذا لنفسه . ولم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره ، ويتفتح لطور جديد ، حتى قرعته فاجعتان ، كان لهما أكبر الأثر فى رجولته المبكرة : فقد توفى

أبوه ، فعرف الحزن واللوعة والشعور بالمسئولية ، وبعد بضعة أشهر — سنة ١٨٧٠ — نشبت الحرب بين ألمانيا وفرنسا. وكان « پول هرڤيو » فى مدينة « دييپ » عندما احتلها الألمان، فنزح الى « بولونى » ، ومنها الى « فونتينبلو » قرب باريس. وتنقل كذلك من مدرسة الى مدرسة ، الا أنه عاد أخيرا الى العاصمة حيث أتم دراسته الثانوية فى « ليسيه كوندورسيه » الكبير . وانجلت الحرب عن هزيمة بلاده . ومن المؤرخين من يقول ان هذه الهزيمة قد فتت فى عضد الشباب ، وبثت فيهم روح اليأس ، ومنهم من يقول — على العكس — انها أيقظتهم ؛ شحذت عزائمهم ، وحفزتهم الى جد الأمور والى انتهاج الواقعية المنتجة فى سلوكهم والتضامن الاجتماعى الوثيق . ولا شك فى أن « پول هرڤيو » ، وهو يسير من غرور الصبا الى فطنة الرشد ، قد شهد من حوله انهيار الأسس والنظم والمبادىء التى نشأ عليها ، عندما سقطت الامبراطورية الفرنسية وقامت مكانها الجمهورية . هناك استولت عليه الحيرة ، واهتزت فى نظره القيم التى ظنها ثابتة مطلقة ، وفقد الثقة بالزعماء والقواد ، مما زاده استقلالا ، وحثه على أن يفكر تفكيرا فرديا خالصا .

على أنه يدبج مواضيع الانشاء — فى ختام مرحلة الدراسة

الثانوية — بأسلوب عاطفى بليغ سابح فى الخيال ، هو أسلوب الأدب الرومانسى الذى اغتذى بشعره ونثره . ويثنى عليه أساتذته ، فيتناقل رفاقه هذا الثناء ، ويلقبون زميلهم الأديب بالهيجولاتر (Le Hugolâtre) — نسبة الى الشاعر الفحل « ڤيكتور هوجو » ولكنه لا يلبث حتى يتأثر بدعوة عصره الجانح الى المادية ، ويتحول الى واقعية المذهب الطبيعى المستحدث .

وبوحى من تلك الواقعية ، يريد أن يصدر — بعد أن التحق بكلية الحقوق — مجلة طريفة يعنونها "Le Badaud Parisien" ، اشارة الى الباريسى الذى يتسكع فى شوارع مدينته الحافلة بالمشاهد ، فيتطلع ويلاحظ ، وينقد الناس وأحوالهم نقدا ساخرا . غير أنه عدل أخيرا عن هذا العنوان ، لأنه ينطوى على شىء من التمرد ، ونشر مجلته بعنوان آخر لا ينفى عنه شبهة الغلظة والبذاءة فحسب ، بل يتيح له أن يوزع المجلة بين علية القوم وأصحاب النفوذ — وما أحوجه الى اجتذاب انتباههم وتأييدهم وتزكيتهم لشاب مثله يقترب من أبواب الحياة العملية ! ظهرت المجلة اذن باسم : Le Monde Parisien أى « المجتمع الپاريسى » . واستنفد العدد الأول موارد المحرر ، فأهاب بزملائه الطلبة أن يمدوه ببعض

المال اللازم لنفقات الطبع ، فلم يسعفوه . واضطر الى عرض المجلة للبيع ، فاشتراها سيد ثرى هو الماركيز دوسمون "Le Marquis d'Osmont" . وألقى هذا الفشل على « پول هرڤيو » درسا نافعا ، فقد ثاب الى رشده ، واستأنف دراسة القانون التى كان قد أهملها فى معمعة التحرير والنشر . غير أن تلك الصدمة لم تقض على شغفه بالكتابة وبرؤية اسمه ونصوصه مطبوعة متداولة . ولم تكن نتائج المغامرة سلبية كلها ، وانما أكسبته خبرة ومعلومات سوف يفيد منها عندما يعود الى عالم الأدب . وأما مقالاته — وهى دراسات اجتماعية طويلة أو صور نقدية قصيرة — فقد كانت بمثابة تدريب لقلمه على تناول هذه المادة . وسيجمعها مع طائفة من مقالاته التالية فى كتابه « البلاهة الباريسية "La Bêtise Parisienne" ».

أما الآن ، فلا هم له الا التحصيل والاستذكار . ولا يكاد يفوز بدرجة الليسانس حتى يتأهب لتحضير الدكتوراه . الا أن حب البلاغة يطغى عليه ، ويزين له أن يشتغل بالمحاماة ، وأن يقوم فى دور القضاء خطيبا . ويجتاز فترة التمرين ، ثم ينطلق لتقييد اسمه فى جدول المحامين العاملين ، ويقابل النقيب لهذا الغرض . وينظر النقيب الى وجهه الغض ، فينصحه بأن يطيل

مـــدة التمرين حتى يبلغ مزيدا من النضج . ويغضب الفتى المتلهف ، ويقسم ألا يقصد هذا الرجل بعد ذلك . ويزهد فى القانون وأصحابه ، ويبحث فورا عن وظيفة . ولسوف تدور الأيام ، وتمضى عشرون سنة ، ثم يشهد هذا النقيب — وهو شيخ — حفل استقبال « پول هرڤيو » فى الأكاديمية الفرنسية عند انتخابه عضوا بها ، واذ يهنئه عقب القاء خطابه الرنان ، يرد عليه الأديب قائلا :

— قد لا تعلم أن الفضل فى دخولى هنا انما يرجع اليك ! يطرق الفتى اذن أبواب الوظائف ، فيعين سنة ١٨٧٩ ملحقا بمكتب وزير الأشغال . وينتقل فى العام التالى الى مكتب وزير الخارجية « فريسينيه Freycinet » . ويلتقى أثناء عمله بكثير من الشخصيات الهامة ، ويحسن التصرف والقـــول ، وينال رضا رؤسائه وتقديرهم ، فينمو شعوره بالثقة فى نفسه. وهنا يتريث ويستعرض ماضيه ، ويقرر تصفية ما شاب حياته من الجزع لخيبة الآمال ، ويتخذ من الدنيا موقفا جديدا . فى ذلك العهد كتب قصة « مالبروك Malbrouk » . ولا شك أنه فعل ما فعله بطل هذه القصة : جرب أمام المرآة عدة أوضاع ليختار أنسبها اليه ، وانتهى الى اصطناع وضع التهكـــم والتشكك وعدم الاكتراث ، فقد وجده أفضل من كل ما عداه..

وهكذا راح « پول هرڤيو » يسرح بصره من حوله على الأشياء والناس والقيم . واستغل وقت فراغه — بعد الظهر — فى التجول والنزهة ، حيث يراقب ما يجرى فى الشوارع والأماكن العامة ، ثم فى تسجيل مذكراته ومواصلة القراءة . وكان وسيم الطلعة ، جميل الهندام ، طيب المعشر ، غزير الثقافة ، فانفتحت له عدة « صالونات » ، واظب على الظهور فيها . ولم يمنعه ذلك من مخالطة الشعب ، وان كان يظل على الطبقات الدنيا فى شىء من التحفظ والاستعلاء .. أليس من رجال « وزارة الخارجية » ؟

وفى سنة ١٨٨٢ اشترك فى مسابقة وزارة الخارجية لينتظم فى السلك الدبلوماسى ويترك وظيفته الادارية . ونجح ضمن أوائل الناجحين ، فصدر تعيينه فى منصب « سكرتير سفارة » بمكسيكو . ترى هل كان يطمع فى خير من ذلك ؟ لقد رفض المنصب والسفر . لعله تذكر ما كان ينبغى لصحته الرقيقة من ضروب العناية والوقاية ، ولعله فطن من ناحية أخرى الى عدم تكافؤ فرص الترقية فى مجال الدبلوماسيين الذى يخضع لعوامل طبقية وسياسية ولعلاقات النسب والمنافع أكثر مما يعترف بقيمة الذكاء والجدارة واتقان العمل ، ولعله بعد هذا كله قدّر أن الشهرة التى واتته أخيرا فى عالم الأدب قد شقت أمامه طريقا أرحب وأضمن نحو الجاه والثراء ...

ذلك أنه نشر فى السنة نفسها كتابه الجرىء « ديوچين الكلب Diogene le Chien » ، عن الفيلسوف اليونانى القديم الذى أصبح اسمه مرادفا لتحدى الأوضاع الاجتماعية وازدراء البشر . فمما يروى عن « ديوچين » — الذى كان معاصرا للاسكندر الأكبر — أنه قال لهذا الفاتح العظيم ، يوم سأله عما يحتاج اليه : « احتاج الى أن تتنحى فأنت تحجب الشمس عنى » ، وأنه كان يسير فى شوارع أثينا نهارا وقد أوقد مصباحا بيده ليبحث فى ضوئه عن « انسان » ، وأنه لم يكن يحفل بمأكل ولا ملبس ولا مأوى وانما ظل حافى القدمين ، ينام تحت بوابات المعابد متدثرا برداء واحد لا يملك سواه ، أو يقيم فى « البرميل » الذى اتخذه مسكنا وبات أحدوثة مدن اليونان جميعا . ومن الغريب أن يتعلق « پول هرڤيو » بتلك الشخصية النافرة المنفرة . فهل يريد أن يتشبه بديوچين وأن يستوحى حكمته ؟ لقد انتقل من وصف أنانية « مالبروك » وتهكمه وبروده الى وصف « كلبية » ديوچين وثورته . ولكن ديوچين شيخ فان ، هزأة ، يرميه الأثينيون بالجنون ويرجمه الصبية بالأحجار ، على حين يخطر « پول هرڤيو » برشاقته وأناقته ولباقته فى أبدع مجالى الذوق والترف . انه على نقيض ديوچين ، فى ميعة الشباب ، رىيب

أسرة طيبة لا بأس بمكانتها المادية ، والمستقبل يبتسم له ويقوده الى وزارة الخارجية . لقد أحس « هرڤيو » بزيف هذا المجتمع الذى بدأ يتعرفه ، فتمنى أن يكون « ديوچين » الناصح الزاهد الصريح البذىء . ويا لها من حرية يتوق اليها ! حرية لا تقف عند حد وتختلط بالجنون ... ومع ذلك فلا بد للفتى الطامح من أن يعيش فى جنبات المجتمع ، لا يتخطى الحدود المصطلح عليها ولا يتعداها ، ما رغب فى أن يتقدم وأن يتفوق وأن يتمتع . ومهما يكن من دلالة هذا الكتاب ، فقد لفت الأنظار بطلاوته ولذعه . وكان « أناتول فرانس Anatole France هو المشرف على القسم الأدبى لدى الناشر الذى تولى اصدار الكتاب ، فاهتم بصاحب هذا القلم الساخر ، وتجاوبت أذواقهما ، ونشأت صداقتهما منذ ذلك الحين . ولم يكن « پول هرڤيو » يتوقع ذلك النجاح الضخم ...

ولقد كانت تلك مصادفة حاسمة . ها هو ذا يتخلى عن السلك الدبلوماسى — بعد أن أثبت أنه كان خليقا به — ويلبى نداء الصحافة . دعته جريدة « الجولوا Le Gaulois » — وكانت من كبريات الصحف اذ ذاك — الى أن يحرر فيها باب « الحياة الباريسية » ، فنشر سلسلة من المقالات اهتم بتجويدها ، وضمنها سنة ١٨٨٤ كتابه الذى أشرنا اليه : « البلاهة الباريسية » .

وتوالت أعماله . ساهم بنشاط غزير فى الصحافة الأدبية : تخصص فى تقديم شخصيات العصر الى القراء بأسلوب نقدى شائق ، ثم فى تأليف القصة القصيرة . ونذكر من قصصه القصيرة مجموعة نشرها تحت عنوان « جبل الألب القاتل L'Alpe Homicide » ، وفيها يبدو ميله الى القدرية . غير أنه لم يجدد فى هذا الفن ، وانما نسج على منوال « جى دى موپاسان G. de Mau Passant » و « باربى دوريفيلى Barbey d'Aurevilly الفرنسيين ، و « ادجار پو Edgar A. Poe » الأمريكى الذى ذاعت نماذجه من قبلهما بفضل ترجمات « بودلير Baudelaire » .

وفرغ ذات يوم من كتابة قصة ظن أنها ممتازة ، وأنها جديرة بالظهور على صفحات « مجلة العالمين La Revue des Deux Mondes — سجل الثقافة الفرنسية الرصينة فى تلك الحقبة — فحملها الى سكرتير التحرير ، الذى قرأها أولا ، ثم وعده خيرا . ولكن القصة لم تدرج فى مواد العدد — البعيد التاريخ — الذى حدده سكرتير التحرير . فعاد اليه يطالب بنشرها ويتعجله . وتثور ثائرة سكرتير التحرير لالحاح الكاتب عليه ، ويهم بأن يرد اليه مخطوطه . غير أنه يستدرك فى الحال ، ويخرج ليستطلع رأى مجلس الادارة ، ويغيب عن صاحبنا

لحظات ثم يأتيه بقرار نشر قصته فى العدد التالى مباشرة . ولم يعلم « پول هرڤيو » الا بعد انقضاء سنوات طوال حقيقة ما دار بين سكرتير تحرير المجلة ومجلس ادارتها فى ذلك اليوم من أيام ١٨٨٧ : كان المجلس قد فصل فى أمر هذه القصة برفض نشرها ، فأصر سكرتير التحرير على وجوب نشرها ، بل وفى أول عدد مقبل ، والا استقال من وظيفته . وكان ذلك تهورا من شاب فقير مثله لا يعتمد على مورد رزق آخر ، فضلا عن تضحيته بمنصب له خطره . ذلك أنه أعجب بعزيمة « هرڤيو » وقوة ارادته وعناده . وجد فيه — الى جانب مواهبه — عقلية مناضل ، فاحتضنه وأيده ... بقى أن نعرف أن سكرتير التحرير هذا كان يدعى « فرديناند برونتيير Fordinand Brunetiere » الذى أصبح من أعلام النقاد وأساتذة الأدب فى جيله . وقد ربط هذا الحادث بين بطليه برباط وثيق . وسنرى الى أى مدى تأثر « هرڤيو » بنظريات « برونتيير » عندما اتجه الى الكتابة للمسرح . ورفعت « مجلة العالمين » على كل حال من شأنه . وضعته فى مصاف أجلّ الكتاب وأعمقهم .

وحفز هذا النجاح الجديد همة « پول هرڤيو » ، وخفف من تشائمه . ومضى يتناول فى بعض قصصه القصيرة موضوعات غرامية ، تشهد بخبرته فى دنيا العاطفة . على أنه لم يدع أخبار

حياته الخاصة تتسرب الى الجمهور قط ، ووصفها بأنها « منزل مغلق النوافذ مسدل الستائر » .

ولم تكن المقالة والقصة القصيرة فى عرف الكتاب أو القراء من فنـون الأدب الكبرى كالرواية أو المسرحية مثلا . لذا لا يدهشنا أن ينصرف عنهما « پول هرڤيو » ، وهو الطامح المستزيد دائما . ولعله لم يهجرهما لأنهما من الأنواع الثانوية فحسب ، بل اتقاء كذلك لآفة التكرار التى تتهدد المتفطنين لمعالجتهما . ولا عليه اذا تجاوز المقالة والقصة القصيرة بعد أن مهدتا له سبيل المجد ، وأعدتاه لصناعة الرواية والمسرحية ، فقد اكتسب العقلية الساخرة الناقدة من ناحية ، وجـودة الأسلوب والبناء من ناحية أخرى . انه ينتقل من الملاحظات التفصيلية المتناثرة الى الاجمال والربط ، ويحـاول تركيز الجزئيات فى خلائق ووجوه تبرز الحقائق العامة .

ويبدأ بالرواية ، فيتخير لرواياته مادة معينة ويبث فيها غرضا معينا — كما فعل فى روايته « الدعامة L'Armature » . أما المادة فهى المجتمع الحديث وأهله ، وأما الرسالة فهى أن هذا المجتمع فاسد يتطلب الاصلاح . وقد تتعـدد مصادر الفساد ، الا أن المال أصل الشرور فى كثير من الأحيان . أجل ، لم ينس « پول هرڤيو » — وهو الذى تربى فى بيئة التجار —

ما كان يسمعه من أحاديث النزاع حول المكاسب والخسائر وتنكر الناس للناس فى حلبة المنافع .

وأقدم الصحفى القصاص على غزو المسرح فى شىء من الوجل . لم ينشىء مسرحيته الأولى « بلا غد Point de Lendemain » ، وانما اقتبسها اقتباسا من قصة قصيرة خلفها الفنان « ڤيڤان دينون Vivant Denon » — وهو الذى كان أديبا رقيقا ورساما بارعا ورحالة ومغامرا صحب « بونابرت » الى مصر وسجل مظاهر الحياة فى أرجائها بنثره ولوحاته . ومثلت هذه المسرحية سنة ١٨٩٠ فأقبل عليها الجمهور وحياها بعض النقاد ، مما شجع « هرڤيو » على مواصلة السير فى هذا السبيل . وكان صديقه « ألفونس دوديه A. Doudet » — الذى سبق له أن تدرج من القصة القصيرة الى الرواية وحوّل صفحات « فتاة آرل L' Arlé-sienne الى مسرحية مؤثرة — يحثه ويؤكد له « أن فى وسع القصصى أن يؤلف المسرحيات » .

وطلع « پول هرڤيو » بعد عامين بمسرحيته الشخصية الأولى « الأقوال تبقى Les Paroles Restent » ، وفيها يهاجم النميمة كما هاجمها فى قصة قديمة نشرها بعنوان « فى وزارة الخارجية Aux Affaires Etrangéres » . لقد احتفظ بنفس

الموضوع ونفس الاطار الاجتماعى ولم يغير الا النهاية التى حرص على أن تكون نهاية فاجعة . ولم يكن عليه بأس لو نقل هذا كله من قالب القصة الى قالب المسرحية . ان القصة والمسرحية فنان متجاوران ، ولكن تركيب المسرحية لا يقوم على السرد المتفرق ، وانما يقتضى الوحدة ، أى تخير العناصر اللازمة وتحريكها والاقتصار عليها بحزم وقوة . وهذا ما لم يحققه « پول هرڤيو » ، فسقطت مسرحيته . ولما اتضحت له أسباب فشله ، اعتبر محاولته هذه مجرد تدريب ، وقال عنها : « لقد ألقيت نفسى بشجاعة فى الماء لأتعلم السباحة » .

وعنى فى تأليف مسرحيته التالية « الكلابة (الكماشة) Les Tenailles » بتلافى ما ارتكب من أخطاء . وحالفه التوفيق وكان تمثيل هذه المسرحية سنة ١٨٩٥ فى دار « الكوميدى فرانسيز » شهادة بمقدرة صاحبها واجادته . وهكذا ظفر « هرڤيو » بالمجد الذى سعى اليه . لسوف ينقطع اذن للكتابة للمسرح دون سواه .

انه الآن يناهز الأربعين من العمر . أنضجته الأيام والتجارب ، وهدأت من غلواء شبابه . ولعل ما ناله من الشهرة والتبجيل قد أثقل كاهليه ، وخطواته ، وأدى به الى تكلف المحافظة والوقار . لقد خرج من طور الثورة والهدم الى طور

الترميم والبناء . وعكف على كتابة « مسرحيات ذات رسالة Pièces à thèse » . فللعمل المسرحى لديه غاية عليا ، هى ابراز فكرة محددة أو شرح درس معين . الأحداث والأشخاص والحوار والمواقف كلها وسائل يطوّعها لخدمة المعنى الأخير ، ويفرض عليها أن تبلغ بنا الهدف المقصود . ويلتزم « هرڤيو » معالجة موضوعات اجتماعية وأخلاقية . بعد أن بيّن فى « الأقوال تبقى » عواقب الاغتياب الوخيمة ، وأظهر فى « الكماشة » ضغط القانون على المرأة وطالب بمنحها حق الطلاق ، عاد سنة ١٨٩٧ الى ترويج نفس الدعوة فى مسرحية « قانون الرجل La Loi de l'Homme . وكأنما دائما فى حضرة محام يترافع ليقنعنا بعدالة قضيته ! وفى سلسلة أخرى من مسرحياته — « سباق المشاعل La Course du Flambeau و « اللغز L' Ehigme سنة ١٩٠١ ، و ! التيه Le Dédale » سنة ١٩٠٣ ، و « اليقظة Le Réveil » و « اعرف نفسك Connais-toi سنة ١٩٠٩ ، و « أشياء تافهة Bagatelles » سنة ١٩١٢ — لم ينصرف عن مناقشة مشاكل الأسرة وعلاقات الرجل بالمرأة والأبناء بالآباء ، ولكنه جلا بوجه خاص سلطان الغرائز وضعف البشر أمام قوى داخلية وخارجية ما زالت تلاحقهم وتسيطر عليهم فى العصر الحديث كما كانت الآلهة

تعبث بمصائر القدماء فى مسرحيات « ايسكيلوس » و « سوفوكليس » و « أوريبيدس » .

صدر « هرڤيو » فى استغلال فكرة الحتمية — وهو يستوحى مجتمعه المعاصر — عن رأى خطير نادى به صديقه الناقد « فرديناند برونتيير » . ومن المعروف أن « برونتيير » تأثر بتيارات العلم والفلسفة العلمية التى انتشرت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وكان « داروين » قد خلب الألباب بنظرية النشوء والارتقاء وتطور الأنواع والكائنات الحية ، فبهر هذا التأويل « برونتيير » حتى راح بدوره يتقصى ما يوازيه فى فصول تاريخ الأدب . أوَلا تتبع « الأنواع الأدبية » شريعة التطور كما تتبعها الأنواع « البيولوچية » ؟ ان لكل من الشعر والقصة والمسرحية سجلا طويلا يثبت ذلك. وأخذ برونتيير يقارن بين الأعمال المأثورة ، حسب تتاليها التاريخى ، ويرسم خط التطور الذى مرت به مراحلها من جيل الى جيل ، ثم يتنبأ بالطريق الذى سيسلكه كل فن . ولن نبحث هنا فى قيمة هذه النظرية من حيث الصدق أو الوهم ، وانما حسبنا أن نتبه الى نتائجها فى مسرحيات « پول هرڤيو ».

لقد استخلص « برونتيير » من دراسته للمسرح أن أوان التراجيديا النثرية قد آن بعد أن انقضى عهد التراجيديا

الشعرية . وتلقف هذا المبدأ « هرڤيو » ، فنبذ الكوميديا ، واعتقد أن الحياة لا تحتمل الهزل ، وأبى على الفكاهة أن تسرى فى حوار أبطاله ما لم تنبع من جد المواقف أو تؤد اليه . وكان أشد ما يغضبه — عندما يشهد تمثيل مسرحياته — أن يسمع ضحك الجمهور أحيانا ويروى « ألفونس دوديه » أنه رآه ذات ليلة يزجر « مارسيل پروست M. Proust » — وكان عندئذ أديبا ناشئا — بل ويهدده بالمبارزة لأنه ضحك مرتين أثناء التمثيل ! وأما القدر فقد تخيل « پول هرڤيو » أن وطأته الساحقة قد تقمصت نصوص القانون ، أو ترسبت فى تقاليد الجماعة ، والحوافز البدائية التى لم تفلح أوضاع الحضارة فى تبديلها . وعمد الى اصطناع وحدة الزمان والمكان والموضوع تماديا فى التشبه بأصحاب المسرح الكلاسيكى . وأحكم تشييد أعماله على تلك الأسس حتى استقر فى روع معاصريه أنه أتى بما يضارع آثار الأوائل .

وتتضح هذه القيود الفكرية والفنية للناظر فى مسرحيات « پول هرڤيو » ، التى يرجع الفضل الى أستاذنا الكبير الدكتور طه حسين فى تقديم معظمها لقراء العربية منذ أكثر من ثلث قرن . وقد نشرت سلسلة « روائع المسرح العالمى » فى عددها التاسع عشر ترجمة لنص « سباق المشاعل » ، مع

تمهيد بقلم الدكتور محمد مندور عن لون « المسرحية ذات الرسالة » . ومسرحية « اعرف نفسك » التى مثلتها للمرة الأولى فرقة « الكوميدى فرانسيز » فى ٢٩ مارس سنة ١٩٠٩، وقامت بترجمتها اليوم السيدة نعمات رشدى ، مسرحية « ذات رسالة » أيضا ، نجد فيها جميع مميزات مسرح «پول هرڤيو».

يوجز عنوان المسرحية مغزاها ، وقد استعاره المؤلف من حكمة منسوبة الى سقراط : « اعرف نفسك بنفسك » . ألا يجب علينا ، قبل أن ندين الآخرين ، قبل أن نزدريهم أو نصب عليهم نقمتنا ، أن نكتشف النوازع التى تدفعنا الى أن نقف منهم موقفنا ذاك ؟ ان خير ما نتقى به جورنا هو أن نضع أنفسنا مكان أولئك الناس ، وأن نراقب سلوكنا ، فلعلنا فى مثل ظروفهم نقترف ما اقترفوه . وهكذا نستطيع أن نلتمس لهم العذر ، وأن نفهم مأساتهم ومأساتنا « من الداخل » .

هذه « أنا دونسير » امرأة شابة زلت ، وخانت زوجها ، وافتضح أمرها . وقديما قال المسيح للذين جاؤوه بامرأة زانية ليعاقبها : « من يكن منكم بلا خطيئة فليرمها أولا بحجر » ، واذا بهم ينفضون عنها ، الواحد تلو الآخر ، بعد أن همّوا جميعا برجمها . أما « الجنرال دى سبيران » — قريب « أنا » — فضابط صارم ، يتشبث بالشرف والفضيلة

والواجب ، ويستنكر هذا الاثم العظيم . وتشاطره زوجته « كلاريس » تلك المبادىء السامية . ولهذا لا يقتنعان معا بالغض من كرامة « أنا » ، بل ينصحان زوجها بأن يطلقها وأن يطردها شر طردة .

ويسرع الجنرال الى تأديب الفتى المتهم باغواء « أنا » ، وهو الضابط « باڤاى » ، مع أنه ربيبه ، ويصدر قرارا بفصله من الجيش . ويذعن « باڤاى » لحكم وليه وقائده ، ويودع « كلاريس » فيؤكد لها — قبيل أن يفارقها الى الأبد — أنه ما كان ليتخذ « أنا » خليلة ، فهو لم يحب ولن يحب من النساء سواها هي . وتستولى الدهشة على « كلاريس » ، ثم يدركها الاضطراب شيئا فشيئا ، لأن قلبها كان يميل — دون أن تدرى — الى هذا الفتى منذ وقت طويل . انها شابة مثله ، وقد خطبها الجنرال الشيخ بعد وفاة زوجته الأولى ، فاقترنت به وهى لا تضمر له الا الاحترام ... ولكنها تتمكن من السيطرة على عاطفتها وتصرف « باڤاى » . وتظهر « أنا » ، فتحنو « كلاريس » عليها وتبذل لها العون . لقد تحولت من القسوة الى اللين بعد أن أتيح لها أن تعرف نفسها .

ويضطر الجنرال كذلك الى التراجع عن شدته حينما يعلم أن المذنب الحقيقى هو ابنه « چان » . غير أن المؤلف لا يكتفى

بالقاء هذا الدرس على القائد الصارم ، بل يدخله على زوجته في اللحظة التي يقبلها فيها الفتى « باڤاى » — وقد زارها فجأة ليقنعها بأن تفر معه . هنا يتناول الجنرال تمثالا برونزيا ليصمى به العاشق المفتون ، ثم يكتم غيظه ، ويسقط ذراعه الى جنبه بينما يقع التمثال على السجادة . وتعاوده سورة الغضب اذ يختلى بزوجته ، ولكن الألم الذى مس شغاف قلبه قد حرك فيه مشاعر الرأفة والرفق والاحسان . انه يراجع نفسه ، ويحاسبها ، وينتهى الى العدول عن عنفه السابق . لن يطلق اذن زوجته « كلاريس » كما نصح « دونسيير » في الفصل الأول بأن يطلق زوجته « أنا » . وبدلا من التضحية بالمرأة التي يحبها ، ها هو ذا يضحى بمبادئه الجائرة ...

بناء منطقى متماسك ، قائم على تقابل المواقف وتناظر الأشخاص ، ندع للقارىء أن يعجب بترابط أجزائه وتناسقها وتكاملها أو أن ينعى عليه التعسف والافتعال . وأشخاص وهبوا أنفسهم لعرض قضية واحدة ، ندع للقارىء أن يعجب بتحركاتهم وتصرفاتهم وتشابك مصيرهم أو أن ينعى عليهم سطحية العواطف والبعد عن التلقائية وانعدام الأصالة حتى ليشبه بعضهم بعضا . وحوار أنيق يجرى على ألسنتهم ، ندع للقارىء أن يعجب بغزارته وحسن رصفه وما لتقارع

المعانى فيه من قوة الوقع ، أو أن ينعى عليه التكلف الخطابى المتصل وانتفاء التنوع مهما تنوع المتكلمون .

من هذه الصفات وهذه العيوب المتلازمة نسج « بول هرڤيو » مسرحياته . ان مواهبه ودراماته التى هيأته لأن يكون محاميا بارعا فى سياق الحجج ، أو موظفا دقيق النظـام ، أو رجلا لامعا من رجال السلك السياسى ، لم تجعل منه مؤلفا مسرحيا خلاقا . فهو لم يبدع شيئا جديدا ، وانما اقتصر على معالجة موضوعات أخلاقية عامة ، رصدها فى اطار مجتمعه البورجوازى الضيق ، وركب منها أعمالا جدلية ، آليـة ، تعوزها حيـاة الواقع ، رغم مهارته فى تصريف الوسـائل الكلاسيكية التى تدفع الحركة المسرحية الى الأمام حتى تبلغ غايتهـا .

وينظر الى « پول هرڤيو » نقاد المسرح منذ الحـرب الأخيرة نظرة قاسية ، وعلى رأسهم أستاذنا المرحوم الدكتور صبرى فهمى فى رسالته التى قدمها الى جامعـة « ايكس » بفرنسا سنة ١٩٤٢ . ولابد أن يختلف تقدير هـذا الأديب باختلاف الأجيال . لقد مجده معاصروه ورفعوه الى القمة ، ثم نسيناه نحن وكأنه لم يوجد . والحق أنهم أسرفوا بالأمس

فى تعظيمه ، كما نسرف اليوم فى تجاهله . وخير لكتاب مسرحنا العربى الناشىء أن يدرسوا نصوص « پول هرڤيو » ليتعرفوا أسلوبه ، فيتجنبوا مزالقه ، وينفذوا الى أسرار الاتقان فى صنعته .

ا . ل .

اعـــرف نفســـك

مسرحية من ثلاثة فصول

أشخاص المسرحية

- الجنرال دى سيبران
- دونسير
- جان دى سيبران
- بافاى
- خادم
- كلاريس دى سيبران
- أنا دونسير

الفصل الأول

غرفة الاستقبال فى قصر صغير . يلوح من مؤخرة المسرح منظر بستان من خلال نافذتين وباب زجاجى يطل على « بسطة » ؛ وثمة من جهة اليسار باب ذو مصراعين يؤدى الى دهليز . وعلى اليمين يوجد باب آخر له مصراعان يشرف على حجرة استقبال صغيرة . وتقوم على اليسار منضدة كبيرة على هيئة مكتب .

وهناك على اليمين طاولة صغيرة تزينها بعض أدوات الكتابة . كما توجد مساند (كونصولات) ذات مرايا عليها أوان للزهور وتماثيل صغيرة من البرونز وبضعة مقاعد متناثرة . والمدفأة فى الركن الأيمن فى المستوى الثانى من المسرح .

المنظر الأول

تظهر « كلاريس » على المسرح يتبعها « باڤاى » مرتديا حلة ضابط برتبة ملازم من سلاح الفرسان . وحين ترفع الستار نرى كلاريس جالسة الى المنضدة الصغيرة القائمة جهة اليمين منهمكة فى قراءة ما حمله اليها البريد من رسائل . يقبل باڤاى من مؤخرة المسرح ، يبدو عليه التردد وهو واقف عند المدخل ؛ فتلمحه كلاريس ..

كلاريس : من ؟ أهذا أنت يا باڤاى ؟ .. لقد ذهب زوجى منذ لحظة الى مقر القيادة ، وسوف يتقد غضبا حين لا يجد هناك ياوره ..

باڤاى : لم يأمرنى الجنرال بالبقاء تحت تصرفه ...

كلاريس : وعلى هذا مكثت فى منزلك لتنام حتى الضحى .

باڤاى : كلا يا سيدتى .. لست قادما من منزلى ، بل خرجت فى ساعة مبكرة ، وأخذت أتسكع وأسير على غير هدى ، ثم رأيت أن أعرج على هنا فى طريق العودة الى منزلى .

كلاريس : وماذا أتى بك هنا فى مثل هذه الساعة ؟

باڤاى : (فى شىء من الارتباك) لقد أحضرت لك الكتاب الذى حدثتك عنه فى الأيام الأخيرة (يناولها الكتاب) .

كلاريس : يا لها من فكرة غريبة .. أن تحمل كتابا أثناء نزهتك !

باڤاى : انه ليس ثقيلا جدا ...

كلاريس : كان لابد أن أرسل فى طلبه يوما ما .. باڤاى .. انك تتخذ من هذا الكتاب ذريعة ، ولديك سبب آخر يدفعك الى المجىء .

باڤاى : انك تتأملينني يا سيدتى بنظرات فاحصة على نحو يفقد المرء ثباته .

كلاريس : فعلا .. فأنت مرتبك ، وأستطيع أن أخمن سبب مجيئك الى هنا ..

باڤاى : حقـا !

كلاريس : السبب هو أنك لست مرتاح الضمير ..

باڤاى : ألا تتكرمين يا سيدتى بتوضيح ما تقولين ؟

كلاريس : بكل سرور . اليك ما أريد : عندما كان يجلس الجنرال ليلة أمس الى مائدة اللعب هذه ، وكنت تجلس معى أنا وأتّا ، وجه اليك الجنرال توبيخا فى غير مبالاة . وكان الموضوع تافها واللهجـة لا تتجاوز حد الخشونة العـادية . ورددت على الجنرال فى الحال بنظرة فحسب ، غير أنها كانت نظرة حادة جدا وعدائية للغاية ، ولمحتنى مُباغتة لك فى هذا الموقف . ومن هذا أستنتج أن غايتك هذا الصباح هى أن تمحو سريعا ما يمكن أن أكون قد احتفظت به من انطباع سيىء .

باڤاى : فليكن هذا هو السبب ، وعلى كل حـال فان فوزى بتسامحك فى الحالات التى أستحق عليها التأنيب أمر أعترف بأنه عزيز علىّ .

كلاريس : (فى رفق) أنا لا أبغى سوى تبديد الظلال فى كل مرة تريد أن توحى بها الىّ . وترانى ألجأ دائما الى التكهنات كلما أردت أن أفهم شخصيتك .

باڤاى : (فى خجل) سأدخل فى هذه التفاصيل فيما بعد.

كلاريس : فلنر الآن يا باڤاى لماذا تتخذ من زوجى هذا الموقف ؟ ألست مدينا له بأياد عظيمة ؟ ألم يكن هو الذى اعتنى بتربيتك ؟

باڤاى : يبدو لى أن لديك معلومات سطحية عن تاريخ حياتى .

كلاريس : روى لى الجنرال أنه عندما كان برتبة كابتن عُهدت الى قيادته كتيبة لقمع اضطرابات فى المنطقة التى ولدتَ فيها ، ويبدو أن والدك كان أستاذا ذا نزعة انسانية ، فأراد أن يتدخل بين الشَّغب والقوة المسلحة .

باڤاى : أجل .. لقد سُجِن والدى مرات عدة بوصفه ثائرا ، ودفع حياته ثمنا لتدخله فى الفتن التى تتحدثين عنها ، اذ لقى مصرعه فوق أحد المتاريس دون أن يثبت من أى المعسكرين أطلقت الرصاصة . ولم أكن حينذاك قد تجاوزت الثالثة من عمرى

وتوفيت أمى أثناء ولادتى .. وكان لزوجة الكابتن الشاب صبى صغير يدعى چان دى سيبران ، هو اليوم ابن زوجك .. وكانت أمه تعبده بقدر ما تأثرت حين علمت أن هناك طفلا آخر يكبره قليلا يعيش بلا مأوى أو طعام اثر الحوادث التى قام زوجها بدور فيها . ولقد رأت فىّ نواة لانسان متمرد وقاطع طريق مقبل قد يكون ثمة متسع من الوقت لتشكيله حسبما تتمنى . فتكفلت بتربيتى . وكان السيد سيبران من الكرم بحيث سمح لها بذلك . ولم أعرف الا متأخرا من أين انحدرت ، وأى دم ثائر يجرى فى عروقى. وانى لأعترض — حتى بعد أن عرفت ذلك بعد فوات الأوان — على وجودى فى مركز اجتماعى كان من غير المحتمل أن أخلق له . ومن ثم فقد ألحقتنى مدام سيبران بعمل كان من الطبيعى بالنسبة لتفكيرها — أن يقع اختيارها عليه . وحين توفيت هذه السيدة المبجلة كنت برتبة ملازم ثان ، وهى نفس الرتبة التى كان عليها ابنها . وأستطيع أن أقول ان أحدا لم يبكها كما بكيتها

أنا ، وشعرت على قبرها شـــعور انسان بائس مكروب .

كلاريس : أرى جيدا أنك لم تشعر نحو زوجى بمثل هذه المشاعر النبيلة ..

باقاى : أكون جائرا لو لم أعترف بأنه اذا لم يكن شفوقا معى ، فانه لم يكن قط شريرا حقيقة .

كلاريس : يدهشنى أن يكون فى استطاعتك أن تقدر بكل هذا اليقين نصيب كل من الزوجين فى الرعاية التى تلقيتها .

باقاى : ظللت زمنا طويلا لا تراودنى عن هـــذه المسألة سوى تكهنات ، ولم يلبث الجنرال أن أكدها لى بنفسه ذات يوم عندما أثرت غضبه .

كلاريس : وماذا كان السبب ؟

باقاى : (مترددا) أشعر بحرج فى الاجابة عليك ..

كلاريس : أرجو أن تغفر لى فضولى ..

باقاى : ومهما يكن من أمر فان الصراحة المطلقـــة مع شخص مثلك يا سيدتى ينبغى أن تكون علامة على أسمى درجات الاحترام بدلا من الأساليب الاجتماعية المهذبة .. حدث ذلك منـــذ خمس

سنوات حين تزوج الجنرال للمرة الثانية ..

كلاريس : وهل كان ذلك بمناسبة زواجى ؟

باڤاى : فى ذلك الوقت اعتقدت لشدة وفائى لمدام سيبران الأولى أنها من أولئك السيدات اللواتى ينبغى ألا يحل محلهن أحد . والحق أننى لم أكن قد كونت رأيى بعد ، ولكننى امتنعت عن حضور حفل الزواج . وطلب منى الجنرال تفسيرا لموقفى ، وطاب له فى أثناء ذلك أن يؤكد لى فى احتقار أننى فى حل من الاعتراف نحوه بالجميل ، كما أكد لى أنه لم يهتم بى هو شخصيا على الاطلاق ، فكان تأكيده هذا هو الوضوح بعينه ..

كلاريس : وكيف لم تحدث بينكما قطيعة نهائية ؟

باڤاى : انه جان دى سيبران ، ابن المرحومة ، انه هو الذى أكرهنى على طلب العفو ، وبذل جهده لأحصل عليه ، وبذلك جعل من المستحيل على أن أتجنب نتائجه . اننى أحمل لابن زوجك ما يحمله أخ كبير من مشاعر الحنان العميق . ويبدو لى أن أمه عندما جعلتنى أعيش مع هذا الطفل المدلل قد كلفتنى بأن ألبى رغباته دون

تبصر . وفضلا عن ذلك فان چان هو وحده الذى كان يؤهله وضعه بين ذكرى أمه وأفعال أبيه أن يملى على التقدير الصحيح .

كلاريس : (مؤمنة على هذه التفسيرات) بحيث انك — لم تتملص فى النهـاية — من الوظائف التى تربطك بشخص الجنرال ...

باڤاى : لقد طلبنى لهذه الوظيفة كما يتصرف دائما فيما يتعلق بى من الأمور — آمرا مستبدا . فما من شىء يستطيع أن يغير من نظرته الى وهى أننى كنت فى الأصل أسيرا ، شيئا صـغيرا حيـا ، اغتصب من العدو . ولا أسـتطيع حتى الآن الا أن أشعر بأننى شخص قد فـك اساره ، ألا تثير هذه الكلمة أفكار الخيانة والجحود ؟ أما فيما يتعلق بى ، فانها تذكرنى — حين أسائل نفسى — بضروب من الاسـتقلال البعيـد ، وبعداوات عنصرية ما زالت باقية على حالها دون عـلاج .

كلاريس : أتعرف يا باڤاى أنك رفيق لا يبعث على الاطمئنان؟

باڤاى : أوه ! لا تسيئى فهمى يا سيدتى ! فما من انسان

يستطيع أن ينجز مع الجنرال الأعمال الصارمة الموكولة الىّ بطريقة أدق منى . وفى المعارك ، أعرّض حياتى للموت انقاذا لحياته ، كل ما أطالب به أمامك هو حقى فى ألا أخضع له أحاسيس قلبى ، وأفكارى ، وحرياتى كانسان ..

كلاريس : أنا لا أمنح لنفسى الحق ، فى الحكم عليك ، انى أستنكر طبعا حالتك النفسية تجاه الجنرال ، ولكننى أراك طبيعة مجروحة معذبة ..

باڤاى : هذا هو الواقع فعلا .

كلاريس : ولقد بدت لى ملامحك حتى الآن مختلفة جدا عن الآخرين .. ملامح لا أستطيع أن أستشف ما وراءها ، وكنت أحمل لك نوعا من الضيق يكاد يكون سخطا عليك .

باڤاى : والآن ؟

كلاريس : بدأ رأيى فيك يتخذ لونا أكثر وضوحا فى بعض الأمور .

باڤاى : آه !

كلاريس : ان حبك لمن كانت لك بمثابة أم ثانية ليشهد بحساسية كنت أشك فى وجودها لديك . وانى

لأرى أنه من العسير عليك أن تمنح صداقتك لأحد ؛ غير أنك حين تمنحها فانها تكون قادرة على وفاء نادر .

ياڤاى : أوه . ما عليك يا سيدتى الا أن تقومى بالتجربة..

كلاريس : ليس لى أن أفخر بأننى صديقتك ، بل على العكس ، لقد أخبرتنى الآن بأننى كنت الدخيلة البغيضة التى ستحل محل من أحسنت اليك .

ياڤاى : ان نيتى السيئة لم تصمد لمقابلاتى الأولى معك، وفهمت فى الحال سبب تضحية السيد سيبران بذكرى زوجته بمجرد أن ألتقى بك .

كلاريس : آه .. وهكذا سارعت على الفور الى القيام بترضية أدبية . اننى راضية عنك ، ومع ذلك فلا لوم عليك طبعا اذا أضمرت لى سوء الطوية مقدما ما دمت قد حصلت على معلومات عنى ...

ياڤاى : أوه . وهل كان فى وسعى يا سيدتى أن أعرف ذلك ؟ اننى لم أعلم حتى كيف ومتى تقرر زواجكما ..

كلاريس : اننى لم أصطنع من جهتى أية حيلة فى الظروف التى جعلت منى زوجة للجنرال . فقد أفضى الى

سيدة عجوز من قريباتى بأنه لا ينوى أن يظل أرمل ، ولم يكن يتطلب الثروة أو الجمال ، بل مجرد فتاة فقيرة تناسبه ، على أن تكون طيبة المنبت ، تلقت تربية حكيمة ، وذات منظر لا يخجل منه . وكان مسيو سيبيران يفضل أن تصفف زوجة المستقبل شعرها تصفيفة القديسة كاترين ، وألا تكون على الأخص روماتيكية التفكير ، ذلك لأنه يرغب فى اعداد نفسه لشيخوخة هادئة بجوار امرأة مريحة الطبع . هذا هو المثل الأعلى الذى رأوا أنه مطابق لى . وها أنت ترى أن دخولى فى هذا المنزل لم يكن ليزعج روح المرحومة التى كانت تسكنه قبلى ، فلا العاطفة المنطلقة ولا الحب الجنونى هما اللذان كانا سيستقران معى فى هذا المكان .

باقاى : ومع ذلك كان يبدو لى أن الجنرال يحمل لك عاطفة قوية جدا ، بل لعلها كانت عنيفة ؟ .

كلاريس : من المحتمل أنه كان أقل تعقلا مما تظاهر به ، وكان من الممكن أن يدفعه ذلك الى أن يقرر أننى أقل واقعية وأشد تجاوبا من نموذج الزوجة التى كان يريد اختيارها .

باڤاى : (وكأنه يتحدث على الرغم منه) هل تسمحين لى بسؤال ؟

كلاريس : أى سؤال ؟

باڤاى : (وكأنه يخشى مما سيجرؤ على قوله) هل وجدت فى هذا الزواج تحقيقا لكل آمالك وأمانيك التى راودتك فى صباك ؟

كلاريس : ان كان ثمة خيبة أمل فى حياتى ، فينبغى أن أتحاشى الافضاء بها الى أحد .

باڤاى : لماذا ؟

كلاريس : بدافع من الواجب ومن الكبرياء ومن انعدام الألفة بينى وبين أى شخص هنا ..

باڤاى : ومع ذلك ؟

كلاريس : (وهى تخاطب خادما يدخل من جهة اليسار) ماذا تريد ؟

باڤاى : لقد عاد السيد دونسيير وأرسلنى لمعرفة ما اذا كانت مدام دونسيير موجودة ...

كلاريس : (للخادم) كلا ، لن تعود الا ساعة الغداء (يخرج الخادم) ان ابن عم زوجى قد نفد صبره ، على حين أن زوجته ستتأخر لدراسة المناظر الطبيعية على شاطىء المستنقعات ..

باڤاى : (متعجلا لمغـادرة المكان) سأمر للبحث عنها وأنا فى طريق عودتى .

كلاريس : كما يحلو لك . واخبرها أنهم يسألون عنها .

باڤاى : (وهو على وشك الانصراف) أجل ...

كلاريس : معذرة لأننى أبقيتك كثيرا ...

باڤاى : (متوقفا بدافع من الأدب) أوه ! على العكس يا سيدتى ! أنا الذى أسأت استغلال ..

كلاريس : لقد سعدت أيما سعادة بالحديث معك على هذا النحو .

باڤاى : سأحتفظ لهذا الحديث بأعمق مشاعر الاعتراف بالجميل .

كلاريس : الى اللقاء ..

(يلثم باڤاى يدها ويخرج . تنظر كلاريس وهى مشغولة البـال الى باڤاى أثنـاء ابتعاده) .

المنظر الثانى

(« كلاريس » .. وسيبران مرتديا زى الجنرال .)

كلاريس : (تتحدث الى زوجها الذى دخل من جهة اليمين) ألديك ما تقوله للملازم پاڤاى ؟

سيبران : لماذا توجهين الىّ هذا السؤال ؟

كلاريس : لأنّ من الممكن استدعاءه . لقد خرج توا من هنـــا ...

سيبران : هو (يثب من مكانه وكأنه يريد اللحاق به) منذ متى كان هنا ؟

كلاريس : منذ نصف ساعة ...

سيبران : أجـــل .. كان لديه من الوقت ما يكفى لتبرير جرأته ، وليستبدل مكانه حتى يلفق ذريعة يدافع بها عن نفسه .

كلاريس : ماذا تريد أن تقول ؟

سيبران : يا عزيزتى كلاريس ، ان پاڤاى عشيق زوجـــة ابن عمى .

كلاريس : باڤاى ! . أوه ! . كيف تستطيع أن تتفوه بمثل هذا القول ؟

سيبران : تعرفين أن أتّا خرجت منذ الفجر للدراسة — على حدّ زعمهما — فى الهواء الطلق وتتذكرين اننى تركتك منذ ساعة ونصف تقريبا لانجاز بعض المهام وصحبنى ابن عمى للتريض . فخرجنا من الحديقة ، وكنا لا نزال فى الغابة ، نقترب من المنزل الذى استأجره باڤاى للاقامة فيه ، وفجأة لمحنا امرأة تخرج من هناك . وتبيّنا من الشبح الذى ميزناه على بعد ، ومن لون زينتها أنها أتّا . ومهما يكن من أمر فما كان من الشخص الذى صعق أيضا لظهورنا على بعد الا أن قفز فى الحال من الطريق وتسلل الى الغـابة . ولم نتبادل أنا ودونسيير كلمة واحدة ، غـير أن شعورنا كان متفقا لأنه اندفع فجأة فى أعقـاب الهاربة .. حدث هذا كله بسرعة الى درجة لم تتح لى الوقت لأسأل نفسى عما اذا كان على أن أتدخل أم لا ، فأرهفت السمع ولكن دون أن أسمع أى صوت ، وانتظرت دون أن يظهر

أحد . لقد كانت الهاربة تسبقنا بمسافة كبيرة ، كما كانت خفيفة الخطى . ولما كان ضباب الصباح يحيط بالأغصان وينتشر فى سائر انحاء الغابة فقد تمكنت من الفرار .

كلاديس : وعلى كل حال لقد عاد دونسيير بمفرده . انه فى الطابق العلوى يسأل أين ذهبت زوجته ، انها سوف تعود بدورها فجأة وترد على ذلك بأن غشاوة قد رانت على أبصاركما ...

حسيران : ثمة شىء سيجعل انكارها عسيرا ، فقد رأيت دونسيير يتوقف قبل أن يدخل تحت الأشجار ليلتقط قفازا سقط أمامه ، ولما استأنف عدوه مسرعا تأكدت انه تعرف على القفاز ، وأنه لزوجته . أما دورى أنا فقد اقتصر على الذهاب لأطرق باب الملازم . كنت متعجلا لأواجهه بما حدث ، لكننى طرقت طويلا فى عنف دون أن يفتح لى . ولما كنت مطلوبا فى المدينة لاعطاء عدد من الأوامر استطعت التأكد من أن پاڤاى مكث فى منزله وقد أصم أذنيه ، ما دام لم يره أحد فى الحى ، ولا فى المكاتب ، ولا فى أى مكان آخر.

كلاريس : ومع ذلك لا أعتقد أنه هرع الى هنا ليمثل على ملهاة دنسة ..

سيبران : هل أبدى لك سببا وجيها لزيارته ؟ .

كلاريس : لم يكن وجيها تماما ..

سيبران : لاشك أنك وجدته مهموما مرتبكا ؟

كلاريس : أجل ، فى بدء المقابلة ..

سيبران : يا الهى ! ان كل شيء يفضحه . وفى هذا الموقف الفاسق يبحث حتى سقف منزلنا ليعرف ما حدث لعشيقته ..

كلاريس : الحق أنه انسحب بسرعة بمجرد علمه بأن أتّا ما زالت فى الخارج .

سيبران : ها أنت ذا ترين أنه كان يسعى وراء فرصة للالتقاء بها مصادفة لكى يدبر الاثنان الأمر معا ..

كلاريس : ولكن كلا .. بكل تأكيد .. كلا . انى أريد حتما مقاومة كل هذه الظواهر الخادعة .. أريد ذلك على الأقل احتراما لأتّا .. كيف حدث أنها تخلت عن فضيلتها ؟

سيبران : لا شك أنها اعتقدت بعقليتها التافهة أن زوجها يرهقها ..

كلاريس : (تحادث نفسها) ليس هذا سببا ..

سيبران : انها لا تهتم بشيء ، فليس لها أولاد .

كلاريس : (بحزن) اننى أعرف معنى العقم ، ولا أرى فى ذلك مبررا لها بأن تزِل .

سيبران : (يرى أتّا من بعيد) ها هى ذى قادمة .

كلاريس : آه .

سيبران : اعرفى منها هى كل شيء ، ثم نادى على ، فاننى هناك ..

(يخرج سيبران من جهة اليمين)

المنظر الثالث

(كلاريس وأنّا تدخل من مؤخرة المسرح) .

كلاريس : (قلقة) ها أنت ذى أخيرا يا أنّا ! أخبرينى بسرعة ، أين كنت ؟

سيبران : (مكروبة) يبدو من مظهرك أنك علمت بما حدث .

كلاريس : اذن فالكلام الذى انتهى الجنرال الآن من سرده علىّ كان يتعلق فعلا بك ؟ أأنتِ حقا التى شاهداها ؟

أنّا : (تضغط ، وتفرك القفاز الذى تبقى لها) نعم ، ان لديهما دليلا مقنعا ضدى .

كلاريس : أتستطيعين بطريقة مقبولة تفسير اجتيازك لعتبة ذلك المنزل القائم هناك ؟

أنّا : لو أن لدى ذلك التفسير لما هربت ..

كلاريس : ومع ذلك أعتقد أنك لم تعودى دون أن تختلقى مبررا ما ؟

أنّا : (يائسة ومحطمة) لن أعرف الا سرد قصص

تبعث على الملل .. انني أفتقد الشجاعة والطاقة اللتين لابد منهما لتـدبير كذبة أثـر كذبة ، وسأفقد رباطة جأشي منذ البداية ..

كلاريس : ان زوجك هناك فى الطابق العلوى ، ولعلك لن تظهرى ازاء استجواب دون دفاع ؟ تستطيعين الموافقـة على أنك كنت متهورة وطائشـة ، وتستطيعين تعليل ذهابك بأنه تحد أو رهان . ولكنهما لا يملكان الدليل على أنك مذنبـة بصورة قاطعة !

أنـا : فى استطاعتى الادعاء طويلا بأننى بريئة ، ولكننى لن أستطيع اثبات ذلك . سأدخل من الآن فصاعدا — فى نضال مع الشك الحاد والظنون الثائرة.. اننى أتساءل أحيانا ، أليس من الأفضل أن أضع الأمور فى نصابها وأعترف فى الحال ؟

كلاريس : ثم ؟

أنـا : سيرفض زوجى الاحتفاظ بى أو قد يقبل ذلك وحينئذ سأعرف موقفى .. لن أحيا بعد ذلك حياة الشراك والحيل والأسـئلة والتلميحات التى ستجعلنى فى حالة غليان ...

كلاريس : (تبدو قاسية) ألا ينبغى على الأقل أن أعتقد أنك نادمة على خطيئتك ، وأنك تشعرين بتأنيب الضمير ؟

أنا : (الدموع تنهمر من مآقيها) لم أضمر لزوجى قط مشاعر سيئة ، وفى هذه اللحظة أهب كل ما أملك فى الحياة لكى لا أسبب له آلاما .. نعم لو أمكننى التنبؤ بمثل هذه النتائج ، فتأكدى أننى كنت ألتزم دائما جانب الحكمة ..

كلاريس : اذن لقد استسلمت لعاشق دون أن يكون عذرك فى ذلك عاطفة قوية ؟

أنا : آه كم أتمنى أن أرى ما يدور بنفوس العاشقات المتيمات فى اللحظة التى يكنّ فيها متلبسات بالجريمة ! . لابد أن هناك كثيرات يقلن لأنفسهن بعد فوات الأوان نفس الأشياء ..

كلاريس : دعينا لا نشغل أنفسنا الا بك ..

أنا : (متوسلة) ألا تسلمين اذن بأن المرأة قد تصاب بدوار عقلى ؟ أو قد تعانى جنونا عابرا يشمل كيانها بأكمله ؟

كلاريس : (فى عصبية) أوه . لا تهيبى بحالات عدم

المسئولية والايحـاء والتجول أثناء النـوم ..
فلنعالج الأمر فى اخلاص . هل التقيت بشخص
على نقيض زوجك المألوف ولكن على صورة
أفضل ، أو لعله أصغر منه وأجمـل ، أو كان
يختلف عن غيره من الرجال اختلافا كبيرا ويمتاز
بأنه آسر للغاية ، فذهبت الى حيث تجدين عنده
النشوة ؟ مثل هذا العمل لا يتطلب أسبابا خارقة
للطبيعة ، انه أمر طبيعى ، طبيعى جدا .

آنـا : (وقد شفى غليلها) يبدو أننى حمّلت شفقتك
أكثر مما ينبغى .

كلاريس : لا تأخذى كلامى على هذا المحمل ..

آنـا : انك لم تعودى تحدثيننى بوصفك صديقة تهرع
لنجدة صديقتها ..

كلاريس : (فى لهجة أقل قسوة) يبدو أننى تركت نفسى
تنقاد الى تقريع فى غير موضعه ، وأننى لألوم
نفسى على ذلك ، وها أنا ذا تحت تصرفك ..

آنـا : انك لا تستطيعين العمل الا لالغاء اللحظة التى
أواجه فيها زوجى ..

كلاريس : لماذا تذهبين اليه ؟ ربمـا استطعت أن أساعدك لو أن اجتماعكما تم هنا عندى ..

أنـا : يجب تسوية الأمر معه على انفراد ...

كلاريس : ومع ذلك ألا تريدين أن أتبعك حتى يكون فى استطاعتى التدخل ؟ ..

أنـا : (فى شجاعة) شكرا . لم يعـد يعترينى ذلك الخوف الدنىء الذى استولى علىّ فى الغابة ، دعينى انتشل نفسى من العار الذى لحق بى ..

كلاريس : حقا .. انك تصرين ؟

أنـا : نعم ، أصر على الذهاب بمفردى ...

كلاريس : كان الله فى عونك (تخرج أنا من جهة اليسار وتذهب كلاريس لتفتح الباب الذى يوجد فى جهة اليمين وتنادى زوجها) تعال .. انهـا لم تعد هنا .

المنظر الرابع

(كلاريس ... سيبران)

سيبران : وماذا بعد ؟

كلاريس : سيلتقى الزوجان ، انها صاعدة اليه .

سيبران : هل برأت نفسها ؟

كلاريس : لم تحاول ذلك معى ...

سيبران : وا أسفاه !

كلاريس : (فى شىء من القلق) بقى أن نعرف كيف سنتصرف هناك معه ، وما يمكن أن يتمخض عنه ذلك .

سيبران : (مطمئنا) كان لدى دونسيير وقت كاف للتفكير، فلن يقلب المنزل بثوراته .

كلاريس : كان بودى أن أقدم شيئا من المساعدة لهذه البائسة ...

سيبران : (فى حدة) أرجو أن تحتفظى بمساعيك الحميدة لكوارث أكثر من ذلك احتراما ...

كلاريس : لا أستطيع كبح شعور الشفقة حين أشعر أن

واحدة من بنات جنسى ، قريبة منى جدا تسقط فى الهاوية .

سيبران : (مقاطعا) أولا : لم تعد أتًا على شاكلتك ، ومن واجبك بعد الذى اكتشفناه عنها ألا تعديها من طرازك .

كلاريس : على أى حال لقد أذهلتنى . كنت ألمس فيها حتى الآن ميلا الى الخلاعة وقليلا من المبالغة فى العاطفة ، وهذه أمور تنتمى الى الخيال وقد لا يتحكم المرء فيها . وربما أحست امرأة بما يجذبها الى شخص ما ، حينئذ يمكن أن تقول لنفسها ان هذا هو الشخص الذى كان ينبغى أن تحبه .. ولكن كيف استطاعت أتًا أن تنساق الى ما وراء ذلك الحد ؟ فالمرأة لا تسلم جسدها دون أن تكون قد قررت ذلك بصفة قاطعة ـ ذلك أن ضروبا من الحياء تقى المرأة مما قد يعترى الجسد من مفاجآت ، وهناك نوع من التمرد يشمل الانسان كله يحميه من أقل احتكاك جسدى .

سيبران : لندع جانبا البحث فى فهم بعض المخلوقات ،

ولكن لنحرص على الابتعاد عنها ، فلولا قرابتى من دونسيير لأخذت حذرى قبل الموافقة على أن تكون هذه المرأة الوضيعة صديقة لك .

كلاريس : لم يكن مظهرها مذموما على الاطلاق ، ولا يمكن أن يشك المرء فى أنها ...

سيبران : الحقيقة أننا كنا عميانا أثناء كل هذه الأيام التى اتخذت خلالها الخديعة بيننا مستقرا لها ، وابن عمى فى الصف الأول يمثل الأبله التقليدى . يا للشيطانة ! ان يقظة الزوج الجوهرية هى فى أن يعرف زوجته جيدا بحيث يستطيع أن يخمن أى نوع من الرجال خلق خصيصا بحيث يعرضها للخطر . ولكن هـذا ما لم يحدث ، لقـد جاء دونسيير الى هنا لتمضية الصيف وهو يعلم أن شابا وسيما يقطن الى جوارنا .. شابا جميـلا غامضـا . ولكنه لم يكتشف أن أتًا من ذلك الصنف من النسـاء الذى يؤثر فيه أصـحاب الوجوه الحزينة ، ولكن أنا ، ولا أحد سواى لا يفوتنى شىء ، ثمة أشياء لا تفلت منى . منذ

فترة لاحظت على باقاى اهمالا فى العمل واستغراقا فى التفكير .. لا سبيل الى تفسيرهما ..

كلاريس : (فى عمق) آه ! هذا الشخص .. انى حاقدة عليه .. فبينما هو يوحى للناس بأنه نفس معذبة ، وقلب متعطش الى الحب ، اذ هو على نقيض ذلك عاشق متيم . فمنذ برهة أشفقت عليه وتمنيت أن يصادف شيئا من السعادة .. نعم انى ناقمة عليه لنفاقه ..

سيبران : أترين يا صديقتى العزيزة أنك أشرف مخلوقة على وجه الأرض ، انى أكن لك احتراما وعاطفة لا حد لهما . ولكن على الرغم من أن هذا أمر مسلم به ، فانك تثيرينى دائما بالتقلبات التى تعترى ثقتك ، وبالتقدير الذى تمنحينه لأناس هم أقل الناس جدارة به ، وأنا لا أتوانى فى وضع شىء من النظام فى هذه التصرفات كهذا الذى حدث فى ذلك اليوم فيما يتعلق بهؤلاء الصيادين .. طبعا .. طبعا .. انك بكل تأكيد تفعلين ذلك عن غير قصد ، ولكن أستطيع القول

بأنه اذا ما وجد نذل فى مكان ما ، فان لك خاصية الانخداع بكلامه المعسول .

كلاريس : (فى هدوء) وعلى أية حال ، أنت الذى نزعت من نفسى عدم الثقة فيما يتعلق بپاڤاى حين قربته اليـــك ..

سيبران : (فى لهجة آمرة) لا تناقشى هذه المسألة ، فان پاڤاى كان مهيئـــا لاطاعتى ، وكنت أستطيع اخضاعه لارادتى كما يصنع المرء بالحذاء الجديد، ولكننى وجدته مريحا لى ورهن اشارتى فاعتقدت أنه على قدر كبير من المرونة ، وهذا هو سبب تمسكى به ...

كلاريس : (بلباقة) كان ينبغى أن تتصرف بحيث يكون هو المتمسك بك ..

سيبران : آه . من فضـــلك لا تعلمينى كيف أتصرف .. فليحمل لى الناس الشعور الذى يريدونه ، فأنا لا يهمنى الا أن أكون صادقا مع ضميرى ؛ ولهذا يكفينى الشعور بأن كل انسان سيأخذ منى حقه بالعدل أثناء حياتى دون أن أكون مدينا لأحد كائنا ما كان .

كلاريس : (فى مرارة أليمة) أفهم جيدا ما ينطوى عليه هذا الكلام فيما يتعلق بى .

سيبران : انها ضروب عنادك أيضا التى تفقدنى الصبر ..

كلاريس : (وهى على وشك الانخراط فى البكاء) أعرف ، أجل أعرف .

سيبران : ما هذا الذى تعرفينه ؟ ماذا دهاك ؟ وهذه عيناك تنتفخان . هل ستقولين الآن اننى أنا الذى دفعتك الى البكاء ؟

كلاريس : (تسيطر على نفسها) كلا ، لن أقول شيئا على الاطلاق ، اننى لا أبكى ...

سيبران : (وقد ثاب الى الهدوء) لحسن الحظ لا تكونى عصبية هكذا ... فهذا شىء مضحك ... اننى لا أتشاجر معك اطلاقا ، هيا قبلينى .

كلاريس : (تهرب من القبلة وتشير الى الباب الذى يفتح من جهة اليسار) هاهو ابن عمك ...

المنظر الخامس

(نفس الأشخاص ، دونسيير)

سيبران : أأنا الذى تبحث عنه ؟

دونسيير : أريد محادثتك .

كلاريس : (لدونسيير) أتريد أن أغادر المكان ؟

دونسيير : (لكلاريس) سينتابنى الضيق فى هذه اللحظة اذا لم أعبر عن نفسى على انفراد مع زوجك ..

كلاريس : سأخرج .

دونسيير : (لكلاريس) ولكن ستتضامنى معى ، أليس كذلك ؟

كلاريس : (لدونسيير) كيف ؟

دونسيير : (لكلاريس) بأن تتركى زوجتى لنفسها ..

سيبران : (لدونسيير) طبعا (لكلاريس) لا تذهبى اليها .

كلاريس : ليست لدى أية رغبة فى ذلك ...

(تخرج من جهة اليمين)

المنظر السادس

سيبران ــ دونسيير

دونسيير : لم يعد فى استطاعتى أن أشك ، أو أن آمل .. أنا مذنبة ...

سيبران : هل اعترفت بأنها كانت تخونك ؟

دونسيير : انها لم تثبت لى عكس ذلك .. فبعد أكاذيب كثيرة أعفيك من سماعها قالت لى فجأة « اعتقد ما تريد وافعل ما تشاء » .

سيبران : ولهذا جئت لتخبرنى : ماذا أنت فاعل ؟

دونسيير : انت على كل حال كبير عائلتى وأنا أقدر خلقك تقديرا عظيما . وانى لأشعر على أثر الصدمة التى تلقيتها بالحاجة الى الاعتماد عليك والاسترشاد بآرائك ..

سيبران : كان ينبغى أن أنفذ قليلا الى نياتك الخاصة .

دونسيير : علينا قبل كل شىء ان نتجنب الفضيحة ..

سيبران : ماذا تقصد ؟

دونسيير : اعتقد انك لا تنصحنى بارسال شهود لياورك ؟

سيبران : لا يسدى المرء مثل هذا النصح .

دونسيير : ليكن . اذا كنت فى مكانى ، فهل تطلبه للمبارزة ؟

سيبران : ولعلنى أكون مخطئا لو فعلت ذلك .

دونسيير : ولكنك مع ذلك كنت تفعله ؟

سيبران : لكل انسان طبعه ، فأنا أرى الأشياء مصبوغة باللون الأحمر .

دونسيير : نعم نرى الأشياء حمراء .. ولدينا أيضا أفكار أخرى ..

سيبران : لعلك تفهم أننى أتكلم كرجل يحب زوجته حبا قويا .

دونسيير : وأنا أيضا كنت أحب زوجتى، يخيل الىّ أن فكرة خيانتها لى فكرة شاذة ومضنية كفكرة أن يُبْتر لى ذراع يوما ما ..

سيبران : والآن ؟

دونسيير : الآن ، اننى أواجه عملية البتر هذه وأتساءل وأنا أرتعد عما اذا كان ذلك أمرا لا مفر منه ، فاخراج زوجتى من حياتى أمـر لا يتوقف الا على أنا ، وكانت تقصد بكلماتها الأخيرة أن أنفذ ما قررته.. فهى لا تعارض فى الطلاق ...'

سيبران : حسن ، انني أرى من الآن فصاعدا أن هناك هوة بين زوجتي وزوجتك ..

دونسير : آه ! حسن جدا ..

سيبران : لست أقصد أن أتّا كائن شاذ ، فهناك للأسف كثيرات غيرها يرتكبن من الأفعال ما يستحققن عليه مثل هذا اللوم ، ولكن زوجتي أنا بمعزل عنهن ، اذ ينبغي ألا تتصل الا بمن يبدو لي أنهن يمثلن العفة ذاتها . صدقني انني متألم لاضطراري الى أن أتحدث اليك بهذه الطريقة ، ففي هذه المحنة التي تجتازها أود أن أمد لك بكل اخلاص يدي . ولكنني لا أريد نتيجة لما حدث أن تبقى زوجتي صديقة زوجتك ، أتفهم ما أعني ؟

دونسير : تماما ...

سيبران : من الطبيعي أننا لن نعلن القطيعة من ناحيتنا ، ولكننا سنتخذ موقفا لا يضايق أحدا ، فلن نلغي سوى الحياة المشتركة والعلاقة الحميمة ، والزيارة ..

دونسير : نعم .. سنكتفي بالتحية ...

سيبران : ها أنت قد غضبت مني ، انني لا أستطيع أن أفعل

شيئا فى هـذا الموضوع . لمـاذا أجبرتنى على مصارحتك ؟ كان ينبغى وأنت تعرفنى أن تتنبأ بتشددى فى مثل هذه المواقف .

دونسير : وأخيرا ها أناذا أبدو مترددا ، ذلك لأن اعترافات أتّا الناقصة وتحـديداتها المختلطة واحتجاجاتها المتناقضة ، كل ذلك يلقى بى فى جو مضطرب . لقد ذهبتُ سرا الى هذا الباقاى ، وهـذه هى الواقعة الثابتة عليها . ولكن هل يبرهن هـذا التصرف على أنها حتما عشيقته ؟ الى أى حـد فرطت أتّا فى نفسها ؟ هل فى الأمر جريمة زنا أم تهور خطير فحسب ؟ ان عدم اليقين الذى ترتب عليه حنقها بسبب انكشاف أمرها وسخطها لأنها طوردت ، وبسبب كبريائها السخيف ، ربما كان كل ذلك هو الذى منعها من الدفاع عن نفسها !

سيبرآن : (فى ازدراء) دعنى أقل لك يا عـزيزى ، ان الاخلاص اما أن يكون موجودا كله أو لا يكون موجودا على الاطلاق . فالمرأة اذا لم تكن عشيقة لمن يغويها بكل ما فى الكلمة من معنى ، ومع ذلك تذهب اليه ، فلا بد على الأقل أن تكون

خطيبته . لقد انتهكت بذلك حرمة الزوجية وتخلت عن ايمانها . والمرأة التى تزنى بتفكيرها تعد زانية بالفعل ، لأن مثل هذه المرأة لا تكون خالصة لزوجها ، ففى نفسها صورة أخرى ، وأمل جديد ورغبة قد تغيرت . ماذا ؟ أتتساءل الى أى مدى كانت زوجتك خائنة لك ؟ بالروح أم بالجسد ؟ آه الا هذا . ألا تفكر ؟ ألا ترى ؟ ألا تشعر ؟

دونسير : (متأثرا) انتى أرى وأشعر أى نوع من الرجال سأكون فى نظرك ان لم أتصرف ..

سيبران : هذا صحيح . فلتفهم أن رأيى هو ، لكى يغفر المرء مثل هذه الفعلة الشنعاء التى اقترفتها شريكته ، فيجب أن تكون كبرياؤه الغريزية قد أصيبت بالضمور . واذا وجد الانسان نفسه مرغما على أن يتقبل ما حدث وأن يتصور زوجته بين أحضان رجل آخر ، حينئذ يفقد الزواج احترامه ، والحياة الزوجية تصبح محالة. فان لم يكن فى مقدورك أن تشاركنى أفكارى

بصدد هذا الموضوع فلست أرى كيف أستطيع أن أحتفظ لك بالاحترام والصداقة .

دونسيير : (وقد حزم أمره) كفى ! لن أدعك تعتبرنى وصمة فى جبين العائلة . سأتصرف على الفور ..

سيبران : وكيف ؟

دونسيير : اننى أستطيع الآن أن أجد أحد أصدقائى المحامين فى باريس ، فالقطار الذى يمر من هنا سيوصلنى اليه قبل الساعة الثالثة بعد الظهر . وفى أثناء ذلك لن تغادر زوجتى غرفتها بحجة الدوار . وليتقدم لها الغداء هناك ، ولن يصبح وجودها فى هذه الحالة مبعثا لضجركم . وعندما أعود فى الثامنة مساء سأعرفها بالخطوات التى تتبعها ليتم الانفصال بيننا ..

سيبران : قررت الطلاق اذن ؟

دونسيير : نعم .. أعترف لك بأننى كنت حائرا ، ولكنك هديتنى الى الطريق السليم . فشكرا .

سيبران : اذا كنت قد عاملتك بجفاء ، وأسأت اليك فذلك ما كان يمليه على ضميرى ، فليس هناك ما يدعو الى أن أطلب عفوك .

دونسيير : اتفقنا .. لقد أحسنت صنعا ، لن أستغرق من الوقت الا ما يكفى لابلاغ زوجتى بأن تنتظر عودتى فى الطابق العلوى حتى أعود وسوف أهتم بالضرورى من الأمور .

سيبران : لك موافقتى التامة .. اذهب ..

دونسيير : الى اللقاء فى المساء ..

سيبران : الى اللقاء ..

اذهب واخبر الملازم باڤاى أن يحضر الى هنا بعد الغداء ، فى ظرف ساعة ، فاننى أريد محادثته.

(يخرج دونسيير من جهة اليسار ويدخل خادم من جهة اليمين على أثر دق الجرس) .

الفصل الثانى

نفس الديكور

(پاڤاى ــ سيبران)

عندما ترفع الستار يبدو پاڤاى فى حالة انتظار وقد أخذ يذرع المسرح طولا وعرضا ، وتمنطق بسيف وارتدى قفازا . يدخل سيبران من البـــاب الأيمن مرتديا نفس ثياب الفصـل السابق ــ ويترك الباب مفتوحا .

باڤاى : هل أرسلت فى طلبى يا جنرال ؟

سيبران : ألا تستطيع أن تخمن فيما سأحدثك ؟

باڤاى : اطلاقا ...

سيبران : لقد فاجأت أنا وابن عمى وزوجته تخرج من منزلك هذا الصباح .

باڤاى : (فى رباطة جأش) اننى أرضى بتفسيرات مدام دونسيير لهذا الموضوع .

سيبران : ليس لديها أى تفسير ، انها عشيقتك ..

باڤاى : أقسم لك ، أيها الجنرال ــ ان هذا الكلام غير صحيح .

سيبران : لا فائدة من الانكار ، لقد اعترفت المذنبة أمام زوجتى أثناء مرورها من هنا .

باڤاى : لقد قالت مدام دونسيير ما أرادت قوله ، وبما أننى أجهل الحديث الذى استطاعت أن تدلى به فسأمتنع أنا عن الحديث .

سيبران : هذا هو خير ما تستطيع صنعه ، وفى هذا كله لا أراك الا فى ظروف خطيرة ، فان جريمة الزنا لا تتناسب مع أمثالك ممن أقسموا على الاستقامة والولاء عند التحاقهم بالمهنة العسكرية .

باڤاى : (مسيطرا على نفسه فى صعوبة) أى جنرالى ..

سيبران : ان الاستهزاء بزوج واتخاذ قناع أمام من يحيطون بك ، ثم المكر والتخفى والخداع ومخافة القانون والشرطة .. هذا دور لا يليق بالزى الذى ترتديه ، اننى لا أصفح عن هذا العمل اذا صدر من ضابط ، ولكن على كل حال فان موقفك أنت شخصيا أسوأ كثيرا ..

باڤاى : أى قائدى ، لا تمض فى اللوم الى أبعد من ذلك ، وتمالك نفسك بقدر ما أنا ممسك عن الاجابة .

سيبران : اعلم أن أبسط قواعد الآداب تمنعك من الحاق

العار بمن لهم صلة القرابة بى ، اننى لا أهيب بمشاعر الاحترام الخالص التى كان ينبغى على الأقل أن أوحى بها اليك ، ولكنى أقول لك ان وظائفك بالقرب منى هى وحدها التى قربتك من امرأة تنتسب الى أسرتى . وحين أسأت استغلال ثقتى على هذا النحو فان هذا العمل أشبه باحتيال مدبر يرتكبه شخص قائم بالخدمة .

باقاى : (فاقدا لأعصابه) كفى !

سيبران : (بكل أنفة) ماذا تقول ؟

باقاى : (بصوت متهدج) أقـول اننى لا أستطيع أن أتحمل أكثر من هذا ، فليس من حقك اهانتى ..

سيبران : ولكن من حـقى أن أعاقبـك . كانت مهنتك يا ولدى حتى اليوم لطيفة للغاية . سنبعث بك الى تونكان للتـأمل فى مكان كئيب . فاذا لم ترغب فى تنفيذ هـذا الأمر القاسى بأمر منى ، فما عليك الا تنفيذه بنفسك بأن تقدم طلبا بذلك الى الوزير .

باقاى : أقبل ذلك كوسيلة للخلاص لى أن تحطم العلاقة

بيننا نهائيا ، وأنا على استعداد لتوقيع ما ينبغى أن أوقعه .

سيبرآن : (مشيرا الى مكتبه) اجلس هنا ، وحرر خطابك، ثم اتركه مفتوحا لأضيف اليه كلمة وسأقوم أنا بايصاله . أمفهوم هذا ؟

باڤاى : (وقد تخلص من سيفه وجلس ليكتب) نعم .

سيبران : اذن سأذهب أنا لبعض الأعمال .. رحلة سعيدة.

باڤاى : (محييا) وداعا .

(يخرج سيبران من الباب الذى يوجد فى مؤخرة المسرح) .

المنظر الثانى

(پاڤاى ــ كلاريس)

بينا پاڤاى ينهى خطابه ، تظهر كلاريس من الباب الأيمن الذى لم يكن مغلقا وتغلقه ...

پاڤاى : (يهب واقفا عند رؤيتها) سيدتى ! ..

كلاريس : (فى سخرية) نعم انها أنا ، استطعت أن أسمع كل شىء ، وكنت متطلعة الى معرفة ما سيكون عليه موقفك .

پاڤاى : أوه ! . اعفينى يا سيدتى من سماع هذه النغمة الساخرة !

كلاريس : لم تحاول أن تغرر بالجنرال ، وهذا حسن جدا . ولكننى أهنئك بقدر أقل على استهزائك التام بسذاجتى هذا الصباح ..

پاڤاى : سيدتى ! ..

كلاريس : لقد خسرت بفعلتك هذه . كنت قد كونت عن طباعك فكرة أسمى من ذلك ، فكرة استثنائية الى حد ما .

باڤای : الغلطة التى ارتكبتها ليست هى تلك التى نسبت الىّ ، والعمل الذى لهم حق ايلامى عليه تماما قد كان نزوة تعسة ومداعبة محزنة .

كلاريس : لا أفهم ما تعنى ..

باڤای : سبق أن قلت لك وأكرر القول بأننى كنت فى رحلة طول الصباح .. ولقد أذعنت لتوسلات شخص تمنعنى صداقتى له من أن أرفض له طلبا، وكذلك تسمح صداقته لى بمعرفة أسراره . وهكذا كان مسكنى تحت تصرف ابن زوجك .

كلاريس : تحت تصرف چان ؟ لقد تغيب لمدة أربع وعشرين ساعة وعلينا أن نذهب الى المحطة لاستقباله بعد لحظة ...

باڤای : ولكننى استضفته منذ التاسعة والنصف ..

كلاريس : هل عاد فى أول قطار ؟

باڤای : تماما .

كلاريس : اذن فهو يعرف نتائج فعلته الطائشة ؟

باڤای : لو أنه يعرفها لحضر الى هنا لمواجهة الموقف ، انه لن يستمر فى الاختفاء .

كلاريس : أعرف مع ذلك أن والده قد أنذره بطريقة ذات

مغزى ، وطرق بعنف على باب منزلك عنـدما رأى أتا تخرج منه .

باڤاى : لم يكن هناك أحد دون شك ، ولابد أن چـان قد هرب أولا واختفى ليدبر أمره ، ويخيل الىّ أنه كان يريد أن يكسب وقتا لكى يبـدو أنه وصل فعلا بالسكة الحديدية فى الوقت المقرر .. وعلى كل حال عندما عدت لم أجده فى المنزل . أتذكرين أنتى تركتك مسرعا ؟

كلاريس : لاحظت ذلك فعلا .

باڤاى : ان كلمات الخادم نبهتنى الى الخطر الذى يحدق بالاثنين ، فرأيت أن أسرع الى منزلى لأنبههما خشية أن يكونا قد نسيا نفسيهما .

كلاريس : لقد وضح فعلا كل شىء .. (فى نغمة رقيقة جدا) كنت أفضل لك ألا تعمل على تيسير ارتكاب الشر ، ولكننى أرى جيدا أن الشباب والزمالة يفرضان مثل هذه الأعمال التى تخـلو من كل حيطة .. ومع ذلك فقد تحملت صنوفا من اللوم أكثر مما تستطيع احتماله بينما طاب لك أن تترك زوجى فى خطئه ..

باڤاى : لقد أخبرنى الجنرال فى بادىء الأمر بأن مدام دونسيير قد اعترفت لك، وما دمت لا أزال متهما فمعنى ذلك انها لم تذع الاسم الآخر . وفى هذه الحال لن يخطر على بالى أن أفضح سر الصديق الذى وثق بى .

كلاريس : ومع ذلك يجب أن تعيد الحق الى نصابه .

باڤاى : لماذا ؟

كلاريس : من أجل العدالة ، وحتى لا يجعلونك تكفر عن أخطاء الغير ...

باڤاى : مهما سارت الأمور فستنتهى الى الأفضل . وثمة بقية من الغموض تحمى حب شخصين ما زالت أمامهما فرصة ليعيشا سعيدين معا . وعلى هذا لن أتركهما للاجراءات التى يستطيع بها السيد سيبران اتخاذها للحيلولة بينهما . أما فى حالتى هذه فلن ينفى سوى انسان وحيد يعيش فى غير مكانه ، انسان لن يشعر بالقلق عليه أحد .

كلاريس : ما دامت خطتك هى أن يظل السر مخفيا عن زوجى ، فما الداعى الى اقحامى أنا فى هذا السر ؟

باڤای : كنت حريصا على ألا تحتفظى بفكرة خاطئة عنى.

كلاريس : هذا حرص أشكرك عليه ...

باڤای : (مدفوعا بقوة داخلية) لا أريدك أن تعتقدى اننى غازلت حيث تقيمين امرأة سواك ..

كلاريس : (فى ذعر) ماذا تقول ؟

باڤای : أقــول اننى كنت أتمنى أن يقع حــادث قوى ينتزعنى من هذا المكان ، أقول انه منذ شهور ، منذ ستين وأنا أذوب وجدا بك فى استسلام عميق يتناوبنى السخط تارة والحمــاس تارة أخــرى .

كلاريس : أوه ! كيف تجرؤ على ذلك ! لم يصــدر من تصرفاتى اطلاقا ما يخولك الحق فى التحدث بمثل هذه اللهجة ، انه يســوءك أن تسمح لنفسك بذلك .

باڤای : لم أعترف لك بذلك الا فى اللحظة التى سأختفى فيها عن نظرك الى الأبد . فلا تغضبى من كلامى هــذا .

كلاريس : (فى ضيق) ليس الغضب هو ما أشــعر به .. انما هو الذهول ، الاختناق ...

باڤاى : ان كلماتى هذه بلا أمل ، وانما هى عبـارات الوداع ، فاسمحى لى بلحظة عطف مكافأة لى على الاستسلام المتواصل الذى حكم به علىّ .

كلاريس : كنت سترحل فى لحظة مقدما تضحيتك عن طيب خاطر ، آخذا على عاتقك مسئوليات شـخص آخر ، وكنت أتمنى أن أظل محتفظة بهذا الانطباع الأخير . فلا تفسده أكثر من ذلك .. كن على يقين من أنه شعور طيب .. شعور مؤثر .

باڤاى : دعينى مع ذلك أضيف بعض الايضاحات الى تلك التى طلبتها منى هذا الصباح لقد رأيت أننى كنت مرتبكا ، خائفا أثناء حديثى معك . ذلك أننى جئت كما لو كان مجيئى على الرغم منى ، دون نية متهورة أو فكرة سابقة لأن أكاشفك بما بنفسى ولكنى أعتقد الآن أن الوقت قد أزف فدفعتنى الغريزة وساقنى القدر .

كلاريس : حسن ، اتفقنا فلا تطل احتمـالات قد تفرض علينا ارتباكا ثقيلا لا نحتمله .

باڤاى : أريد أن أحيطك علما بنقطة ما : كنت دون شك لا تلحظين سوى الحقد الذي يسيطر على شعورى

تجـاه الجنرال ، بينما امتنعت عن التعبير عن نفسي فيما يتعلق بك ، والآن لا أخفي عليك أن عـدائي للجنرال قد زاد على الأخص بسبب ما تقاسينه أنت من طغيان .

كلاديس : لا تهاجم مسيو سيبران بسببي ، فلقد قبلت أنا وأنت المركزين اللذين هيأهما لنا بما فيهما من فوائد .

باقاى : ولكنك فهمت الآن السبب الذى أبقانى مستعبدا هذه المدة الطويلة بالقرب منه ، وبالقرب منك . كان حبى يتضخم بسبب ما يقع علينا من ظلم مشترك تحت وطأة هذه الارادة التى لا تقاوم .

كلاديس : أفهم ، أجل .. وقد كنت أعتقد أننى وحدى التى تتـألم ولست أخفى عليك أنه كان يسرنى أن أعرف أن هناك عطفا يتجاوب مع أحزانى بين من يحيطون بى ، اذن لشعرت حينئذ بعزاء ولذة فى أن أحيا .. وهو شعور كنت أفتقده دائما .

باقاى : آه . لماذا تأخرت ! كان ينبغى أن أصارحك ، فمن الواضـح اننى كنت أشاركك بكل روحى فى

الآلام التى كان مسيو سيبران يحفرها بوحشية على وجهك ...

كلاريس : ان تعبيرك مبالغ فيه ، ومع ذلك فأنا لا أحتج تماما .. واأسفاه ! كم من أوهام كنت أحب أن تدور حولى ، حول المميزات المتواضعة التى يتصف بها عقلى ، حول شخصى .. وأخيرا ماذا ؟ الغرور ، الصراحة والخيالات ، حتى الأعمال الصبيانية ، هل أستطيع أن أسمى هذه الأشياء كلها نجوما قد أطفأ بريقها فى نفسى وزهورا جميلة قد حصدها !

باڤاى : هذا أقل كثيرا من الواقع !

كلاريس : وهكذا وصلت الى حالة كئيبة لا أشعر فيها الا بشعور الواجب ، شعور مظلم لا عطر فيه ، انها حال الاستسلام للحياة الزوجية والوفاء المر التى ينتظر فيهما الانسان الشيخوخة والنهاية بصبر نافد .

باڤاى : كنت أشعر تماما بحالتك هذه .. فكم من مرة توثبت فيها أعماقى حين كانت معارضة جارحة

توقف على شـــفتيك نفس التعبير الذى كنت أفكر فيه .

كلاريس : فعلا ، كثيرا ما اعتقدت أن هناك تجـــاوبا بين طبيعتينا .

باقاى : (وقد استضاء وجهه) أيمكن هذا ؟ أحقا لاحظت أن هناك أشياء تقرب بيننا ؟

كلاريس : لعله كان ذلك .. لقد كان شعورا غامضا ، غير معقول ...

باقاى : أوه ! حاولى أن تقرئى ما بنفسك !

كلاريس : وفيم يفيد ذلك ... ؟

باقاى : بدافع من الشفقة ، بدافع من الحنان ، أوجدى الكلمات التى تبرهن على أنك لم تكونى غير مبالية بأمرى .

كلاريس : يا الهى ! كيف اندفعت منذ وقت قليل فى توجيه كل هذه الأسئلة اليك ؟ أليس الشـــعور الذى كان يدفعنى الى أن أزداد معرفة بك هو نقيض عدم الاكتراث .. ولماذا هاجمتك الآن بجمـــل شريرة ؟ شعرت اذن باهانة غريبة حينما اتهموك

بأن أتا عشيقتك ؟ .. لعلك لاحظت بأى جرأة كنت أوجه اليك الأسئلة ! ..

باقاى : تكلمى ! . تكلمى ! ..

كلاريس : وأعتقد أيضا أننى أكون أقل استعدادا لتغيير مجرى الحديث ان لم يكن تفكيرى قد اتجه حتى الآن اليك ؛ ولشدة انشغالى فيما مضى بقلبى الخالى رأيت فيه دون شك خلال ما أصابه من دوار مرور طيف حب برىء بيننا . ولكننى أخاطر بنفسى وأتخيل .. ما هذا الذى تجعلنى أقصه عليك ؟ هذا كثير ، بل كثير جدا !

باقاى : أوه . استمرى ، أتوسل اليك ! أعيدى على مسامعى أنك فكرت فى أن حنانا كان يربطنا الواحد بالآخر !

كلاريس : كان مجرد حلم ، وستصبح أنت ببعدك حلما .

باقاى : (ثائرا) أوه ! لماذا يصبح ذلك حتما على !

كلاريس : ستكون منذ الآن فصاعدا غائبا الى الأبد ، وبهذه الصفة يكون فى استطاعتك أن تظل عزيزا على .

باقاى : ولكن الآن وقد لمحت فى نفسك شعاعا من الأمل

من ناحيتى ، لم أعد أتصور سوى معارضة القرار الذى اتخذ بنفيى من هذا المكان .

كلاريس : كيف ؟ .. ماذا ؟ .. ماذا تزعم ؟

باقاى : أجل . لم أعد أبحث الا فى الوسائل التى تجعلنى أبقى هنا .

كلاريس : أوه ! هذا ، ليس من حقك ! ولن تستطيعه ! ان هذا مباغتة لثقتى واستغلال سيىء لها ، والعذر الوحيد لما دار بيننا من حديث هو ألا تعود اليه بعد ذلك .

باقاى : تحملى وجودى بالقرب منك ولن أظهر أمامك الا باذنك .

كلاريس : هـذا محال .

باقاى : سأكون خاضعا ، بعيدا ، خائفا ، صامتا . وستعرفين أن هناك رجلا يحترق من أجلك فى أشد العواطف التهابا . ولكن ما من شكوى يمكن أن تذكرك بأنه لكى تضعى حدا لعذابى، فما عليك الا أن تمرري أنفاسك فوق جبينى .

كلاريس : (وهى ترتعد) لا أريد أن أعرض نفسى للشعور بأن انسانا يعيش بالقرب منى يتألم من أجلى ..

فمنذ أن حدثتنى عن حبك ، ومنـذ أن تلاقت أعيننا فى هذه المفاجأة بطريقـة لم تعرفها من قبل ، أشعر أن واجبى يدفعنى الى أن أحـذر من نفسى .

باقاى : فى اليوم الذى تحكمين فيه على بأننى أضايقك يكون هو اليوم الذى تبعـدينني فيه عنك ، ولكن لا تفرضى على وطأة الفراق قبل أن تبدو ضرورية لك .

كلاريس : انها ضرورية .فلا تصر بعد ذلك . لقـد كنت تودعنى فلننه هذا الوداع وانى لأصر على ذلك!

باقاى : أوه ! فكرى فى الأمر مليا !

كلاريس : كلا . كلا ! انسحب .

باقاى : كلمة أخيرة ؟

كلاريس : (بلهجة آمرة) كلا .

باقاى : آه ! لقد فهمت جيدا .. هذه المرة ، انتهى كل شىء ! انتهى كل شىء .

كلاريس : أجـل .

باقاى : كونى مطمئنة : فلن ترينى بعـد الآن ، انسينى اذن !

كلاريس : لن أنسى اننى وجدت فيك بالقرب منى نوعا من الجنون ، ومن الألم أيضا ومن الاخلاص .. وربما من الخطر !

باقاى : سيدتى ! ..

كلاريس : الوداع !

باقاى : الوداع !

(يتناول سيفه ويخرج مذهولا) .

كلاريس : (بمفردها وقد انهارت) أوه ! .. أوه ! ..

المنظر الثالث

(كلاريس ـ أنّا تدخل من جهة اليسار)

أنّا : معذرة ان كنت قد أتيت اليك ..

كلاريس : أترتدين ثوب السفر ؟

أنّا : أجل .. اطلبى من زوجى أن يرسل الىّ بكل اجراءاته عند شقيقتى التى سأطلب اليها أن تؤوينى ..

كلاريس : ألا تشعرين قبل كل شيء بالرغبة فى أن تتناقشى مع ابن زوجى ؟

أنّا : ماذا ؟ أتعرفين أنه هو ؟

كلاريس : نعم .

أنّا : من قال لك ؟

كلاريس : من اتهم خطأ .

أنّا : هل قص عليك مسيو باڤاى ؟ ..

كلاريس : علىّ أنا فقط ، لا على الأب .

أنّا : لم أتهم انسانا .. وما دام قد حدث فليكن ما يكون . فعلا أود أن أرى چان ، ولكى أرحل

انتظرت الساعة التي لابد أن أراه فيها في الطريق..

كلاريس : وما الذى يدفعك الى مغادرة هذا المنزل بسرعة ؟

أنـا : انه لم يعد مكانى . أنت نفسك لم تنجحى هذا الصباح فى اخفاء ما أوحى به اليك من نفور ..

كلاريس : لا تحقـدى على بسبب ما أبديته نحـوك من خشونة أول الأمر ، اذ قدرت منذ ذلك الحين الظروف التى حاولت فيها تخليص نفسك ..

أنـا : آه . أتسلمين بأن المرأة التى عانت الاغراء ليست بسبب ذلك بائسة حتما ؟

كلاريس : (صارمة فى لين) لا تنسبى الىّ تقديرا قاسيا ، ولا تحذرى منى ، بل الأولى أن تشقى بى ...

أنـا : آه ! . هذا يفيدنى ! .

كلاريس : قطعا ، حدثينى ! .. سأصغى اليك بكل اهتمام مخلص ..

أنـا : حقـا ؟

كلاريس : حقـا !

أنـا : لقد صدر عنى الكثير من عدم التبصر ! وشىء قليل من الانحراف ! .. وتتابعت الأحداث بسرعة عجيبـة !

كلاريس : يبدو لى أن المرء يبدأ فى مراقبة نفسه فى اللحظة التى يشعر فيها أن شخصا ما يهتم به .

أنـا : لقد كان چان يبـدو دائما ساخرا منى ومعاكسا ومتقلبا . وكنت على يقين من أنه يستثقل ظلى ، ولم يكن يخامرنى شـك فى أننى كنت أعطف عليه .. وذات مساء أقبل چان لرؤيتى ، وكان زوجى غائبا ، فلم يتـوان فى اظهار سـخريته ومضايقاته الى درجة جعلتنى أحنق عليه بطريقة لم تصدر عنى من قبـل . وأثارت المناقشـة أعصابى ، فأخذت أبكى فى بلاهة ، مما جعـله يغير لهجته فى الحال ، وتهدج صوته هو الآخر وهو يعترف بأن هذه القسوة كلها التى يبديها نحوى لم تكن شيئا آخر سوى طريقته للتعبير عما يعانيه من عذاب وغيرة ورغبة .. وأقسـم لى أنه يحبنى بحنان وعاطفة قوية .. وستقولين لى ان المرأة التى تسمح لنفسها بسماع كلام من هذا القبيل لابد أن تكون فاسدة الخلق فعلا .

كلاريس : (فى حماس) لن أقول ذلك ، فقد يفقد الانسان ارادته .. ويمكن أن يستولى عليه احساس مثير ،

محير ، بل أشد من ذلك قســوة ، ومع ذلك لا يشعر برغبة قوية فى ايقافه على التو .. آنا لا أحكم .. انما أعرب عن رأيى .. اننى أتخيل..

أنّـا : لقد استولى على قلق فظيع ، أكان ينبغى على افتراض أن احتجاجات الحب هذه قد أثارت لى فجأة جانبا من قلبى كنت أجهله ؟

كلاديس : أمن الحق اذن أن الانسان يجهل نفسه الى هذا الحــد !

أنّـا : ان لم يكن ذلك صحيحا فلماذا كانت هذه النوبة من البكاء التى بدأت بها ؟ أو هل تحدث ظاهرة مماثلة لتلك التى تحدث بين الحديد والمغناطيس؟ هل يوجد بين البشر جاذبية ؟ ما هذه القوة التى تنبعث من ارادة الرجــل ؟ ما هــذه السيطرة الغامضة ، هذه المغناطيسية ؟

كلاديس : من يدرى ؟

أنّـا : كنت منجذبة ، لأننى كنت محبــوبة ، ولأننى محبوبة كدت أعتقد أننى سأحب ، سأحب لدرجة أفقد فيها نفسى ..

كلاديس : (مفكرة) اننى أرى فعلا أن الذى يمكن أن

يحمى كثيرات من النساء ، هو الاحترام الذى يمنعهن من مهاجمة أنفسهن ، انها الفكرة السابقة بأنهن لن يحصلن من ذلك على شىء ، ولكن اذا وقع ما يخالف هذه الظروف وتجاسر رجل على التصريح بحبه ، فان المرأة تعيش منزعجة من ملاحقته لها دون توقف ! وتسيطر عليها دائما ارادة تترصد فريستها ، انه السحر الذى يفتن المرء حين يشعر أنه موضع اشتهاء . ان فى ذلك محنة أعتقد أنها خليقة بأن يخشاها الانسان !

أنّـا : لقد أنذرت جان بألا يعود الى زيارتى . فقـام بمحاولات عديدة لكى أستقبله ، غير أنها باءت بالفشل . ولكن كيف أتخلص من الدعوة الى قصركم ؟ فبمجـرد أن وصلت الى منزلكم ، تعقبنى ابن زوجك ولاحقنى ، فكنت أجده أينما حللت ، وكان يكتب الى ، وكان يخيفنى . وفقدت عقلى حينَ صرح لى بأنه سيقتل نفسه ، أما كان ينبغى علىّ أن أضحك من هذا التهديد الذى يلجأ اليه كل الرجال ؟

كلاريس : بعضهم ينفذه .. ومنهم من لا يجرؤ الانسان على تحـديه !

أنـا : باختصار ، جعلنى أقرر أن التقى به فى موعد اليـوم .

كلاريس : أكان هذا الموعد للمرة الأولى ؟

أنـا : (وهى تخفى وجهها) نعم .

كلاريس : يا صغيرتى المسكينة ! (تلمح ابن زوجها) آه ! ها هو جان !

أنـا : أخـيرا !

المنظر الرابع

(كلاريس ــ أنّا ــ چان)

(يدخل چان من مؤخرة المسرح) .

چان : علمت أن پاڤاى كان هنا قبلى . أعرف ذلك !

أنّا : هــه !!!

كلاريس : أنت تعرف اذن أنه قد أخذ كل شيء على عاتقه.

چان : وهذا موقف لا أقبله ..

أنّا : ستقول الحقيقة لأبيك ؟

چان : طبعا .

كلاريس : وهل اتفقت على هذا مع صديقك ؟

چان : لم أتشــاور الا مع نفسى فيمــا يتعلق بهــذا الموضوع .

كلاريس : علمت من پاڤاى أن لديه أسبابا لمغادرة البلاد .

چان : لم يقل لى أى شيء عن هذا ..

كلاريس : لقد أفضى بها الىّ ، انه تعهد ارتبط به .

چان : انه حر فى اختيار الموقف الذى يناسبه .

كلاريس : لا تصر على تغيير ما استقر عليه الرأى ..

المنظر الخامس

(نفس الأشخاص ـ يتقـــدم سيبران من مؤخرة المسرح وقد خلع زيه الرسمى) .

سيبران : (موجها كلامه الى چان ومتظاهرا بأنه لم يلحظ وجود أنّا) آه . ها قد عدت يا صغيرى !

چان : كنت على وشك الحضور اليك يا والدى ، اننى أريد محادثتك ..

سيبران : سنختار الوقت المناسب .

(يتجه نحو المكتب ويرى الخطاب الذى تركه پاڤاى ، بينما تتحدث كلاريس الى أنّا) .

كلا

چان

كلاريس : لن يكون لوجودك هنا عاقبة سوى الضرر ، فاذهبى الى حجرتك ..

ستأتيننى بالأخبار ؟

، سأبقى لأحاول تخفيف وقع الصدمة .

نعم حاولى ذلك .

خرج أنّا) .

چان

المنظر السادس

(كلاريس ـ جان سيبران)

سيبران : (موجها الحديث الى جان) ما هذا الذى تريد أن تحدثنى به ؟

(فى الجزء الأول من المنظر يبدو سيبران مشغولا بتذييل خطاب باقاى للوزير وختمه) .

جان : انه يتعلق بما حدث بينك وبين باقاى ..

سيبران : هل تطمع فى الشفاعة له ؟

جان : ان الفعلة التى تلومه عليها ليست بالاختصار جريمة من الجرائم التى لا يمكن التكفير عنها اطلاقا .

سيبران : ليس لدى ما أحذفه من الحكم الذى نطقت به .

جان : ومع ذلك فالحب يا والدى والميل الى اللهو وانجذاب الحواس ، هذه أشياء لا تجهل أن الانسان قد لا يستطيع أحيانا مقاومتها ؟ .. فقد كنت شابا مثل باقاى ومثلى ؟

سيبران : وللعلم ، ضع نصب عينيك أننى لا أتعاطف الا مع

الحب المشروع .. كنت متزوجا للمـرة الأولى عندما كنت فى سنك وسن پاڤاى . هذا بينما تلهون أنتم أيها الشباب مع الفتيات وأنا أغمض عينى ... ولكن اغواء زوجة هى ملك لآخر ، هذا فى نظرى اجرام . انه يختلط فى ذهنى بمن حكم عليه القانون لاقترافه جرما شائنا كانتهاك العفة ، أو التحريض على الفساد .. وأتهم پاڤاى من الآن فصاعدا بأنه ينتمى الى الصنف الأخير .

چان : بما أنك تنظر الى المسألة على هذا النحو فانك تجعل من المحال على أن أرجىء رد شرفه اليه أمام عينيك أكثر من ذلك ، انه ليس هو المذنب . بل انه أنا .

سيبران : (مستديرا نحو ابنه) بماذا تهذى ؟

چان : فى الوقت الذى كنتم تعتقدون فيه أننى بعيد ، كنت قد وصلت خفية الى منزل پاڤاى وأكرر لك القول بأن من كان على موعد هناك هو أنا .

سيبران : لماذا لم يبدد پاڤاى انخداعى ؟

چان : بدافع من التضحية والشهامة ..

سيبران : آه هذا ! .. آه هذا !..

(موجها الحديث الى كلاريس) أتعتقدين أنت فى صحة هذه القصة ؟

كلاريس : عرفتها منذ لحظة .

سيبران : (مشيرا الى چان) منه ؟

كلاريس : كلا ، من .. من أنا ..

سيبران : انهم بسبيل تضليلى ! (الى چان) لقد ارتجلت وسيلة لتخليص صديقك من هذه الورطة .

چان : لا يدفعنى الى تعريض نفسى لقسوتك سوى الحقيقة ...

سيبران : حسبك . أتعتقد أننى سأنتهى معك الى اللين ؟

چان : على العكس ، أشعر بأننى لا أهرب من أى ظلم قذفت به فى وجه پاڤاى على حد التعبير الذى قيل لى فى كلمتين . فكل ما نسبته اليه عن الجريمة بوصفه ضابطا ، فلتجعلنى أكفر عنه مثله ما دمت أحمل رتبته نفسها .

سيبران : سآخذ بمنطقك ولن أعارض اطلاقا . أنت اذن الذى يجب أن أعامله كانسان ماجن .

كلاريس : أوه ! ما هذا !

سيبران : (يبدو حزينا أكثر منه غاضبا) أيغدر بى هكذا

أثناء ضيافة كنت أنا الداعى اليها . اننى متألم لدرجة لا سبيل الى التعبير عنها .. كان يجب علىّ ! لا أعرف ما الذى يمنعنى .. (لچان) لقد سددت الى ضربة مؤلمة للغاية .

چان : أبى ! ..

سيبران : هل قدرت عواقب فعلتك هذه ؟

چان : كلا ، ليس بعد ...

سيبران : حسن . لقد أدرك ابن عمنا أقل ما يتطلبه شرفه. فلن يلحق العار فقـط بعائلة بل سـيتبع ذلك تشتتها .

چان : هل سينفصلان ؟

سيبران : نعم ، ستطرد المرأة من الأسرة كما تستحق .

چان : ما دام الأمر كذلك فلتتأكد أنّا من أننى سأكون الى جوارها .

سيبران : (يرهف أذنيه) ماذا تعنى بهذا القول ؟

چان : بمجرد أن تهجر أنّا بسببى ، فليس أمامى سوى الزواج منها .

سيبران : (وقد قطب ما بين حاجبيه) تتزوجها ! أنت ! .. أتسخر منى ! ..

كلاريس : هدوءا ! بحق السماء ! أناشدك الهدوء !

سيبران : (لكلاريس) دعينا (لجان) مزيدا من الشرح . توسع فى شرح علاقتك ... فالمرأة تكبرك بأربع أو خمس سنوات ، ولكن ما عليك ، أليس كذلك ؟ .. الزواج ، هذا هو ما قررته ! . وربما تواعدتما عليه ؟

چان : كلا .. لم تخطر لى هذه الفكرة على بال . وأعترف بأننى لم أتنبأ بأن مصيرى كله يمكن أن يرتبط بهذه الفعلة ، كما أننى أجهل ما اذا كانت وجهة النظر هذه ستمنعنى أم لا .. ولكننى فى الموقف الذى أجد نفسى فيه ، أتبين أمامى واجبا للاصلاح ، اذا ما قصرت عنه أعتبر نفسى رجلا خائنا .

سيبران : أنت تهرف ! أنت مجنون ! (لكلاريس) لقد أصبح مجنونا يجب تقييده ! .

كلاريس : تمالك نفسك !

سيبران : تدبر الأمر يا صغيرى ، فلست تريد أن تتخذ امرأة فاجرة داعرة شريكة شرعية لك .

چان : (فى ازدراء) أوه ! .

كلاريس : (معترضة فى قوة) ليست أنا امرأة فاجرة !

سيبران : دعك من هذا الكلام !.

چان : انك تستخدم عبارات لا أسمح بأن تقال عنها .

سيبران : من أين لك أن تضمن أن المرأة التى ثبت لك فجورها ستكون مخلصة لك فى المستقبل ؟ ومن أين لك أن تضمن أنك كنت أول من سلكت معه سلوكها السيىء ؟

چان : ان هذا لأمر شائن ..

كلاريس : نعم ، هذا أكثر من اللازم .. ليس من حقك ذلك ...

سيبران : (فى صوت لا يقبل الرد) حين أنسب الى امرأة صفات تنطبق على فعل من أفعالها الثابتة عليها فأنا لا أقوم حينئذ بافتراضات متهورة ..

كلاريس : (لچان) لا تجب ! ولا تناقش !

چان : (لكلاريس) عدينى اذن بألا يستمر والدى على هذه النغمة ....

كلاريس : (لسيبران) يا صديقى ...

سيبران : أرجوك أن تصمتى ! ..

كلاريس : (مختنقة) فى الحقيقة !

سيبران : (مخاطبا چان) أما أنت ، فسارع بأن تقول لى انك لن تعود اطلاقا الى محادثتى عن مثل هذا الزواج .

چان : أعلن لك أن أنّا لن تفقد لقب مـدام دونسيير الا لتجدنى زوجا لها .

سيبران : وأنا أؤكد لك أنك لن تحملنى على قبول هذه المخلوقة زوجة لابنى .

چان : ستبرىء ذمتك بالتخلص منا نحن الاثنين .

سيبران : والاسم الذى حملته منى ، لن أدعك تنقله الى زانية مطرودة من بيتها ..

چان : لقد تجاوزت السن الذى كنت تستطيع فيه أن تمنعنى عن ذلك .

كلاريس : چان .

سيبران : ماذا ؟ أتثير القانون ضدى ؟ أنت تعصى ما أحرمه عليك ؟ أنت لا تهتم بموافقتى ؟

چان : أجل اذا اقتضى الأمر ذلك ..

سيبران : أتتحدانى ، لقد أهنتنى ، لا تظهر أمامى الا لتقديم اعتذاراتك ، اذهب وفكر ! . اذهب ! اذهب ! ..

چان : وفكر أنت أيضا .

(يخرج چان من جهة اليمين)

المنظر السابع

(كلاريس ... سيبران)

سيبران : الوغد .. الوغد .. لقد أخرجنى عن طورى .. وأنت ، تحدثى اذن . انك تشجعينه على الوقوف نِدا لى ...

كلاريس : ان چان يرفض أن يتخلى عن امرأة أفسد حياتها ، وأنا لا أجد فى نفسى الشـجاعة لألومه على ذلك ..

سيبران : بشرفى ! ان هذه الحادثة قد أخلت بتفكيرك .. ماذا طرأ عليك من سوء ؟ فقد كان يبدو لى منذ عدة ساعات أننا متفقان على أن أتا امرأة غير جديرة باحترامنا ..

كلاريس : لم أكن قد وضعت فى حسابى تصرفات القدر .

سيبران : ما معنى هذه الكلمة ؟ لقد سمحت اذن للمذنبة أن تحتال عليك وتؤثر فيك . .

كلاريس : كل ما أستطيع أن أرد عليك به ، هو أننى أشفق

عليها . كنت أود أن أفيدها فى شيء ، أن أتتشلها من الألم ..

سيبرآن : الأحرى أن تهتمى بقطع كل علاقة لك بها . اننى فى دهشة من أننى أنا الذى آمرك بهذا ..

كلاريس : أوه .. أتوسل اليك .. لا تعاملنى كطفلة مـرة أخرى ! ..

سيبرآن : اننى أرغم على ذلك حين تبدى حاستك الخلقية فجأة تساهلا لا أعرفه عنك .

كلاريس : هل تعتقد أنك أنت سبيكة واحدة لا اختلاف فيهـا ؟

سيبرآن : الام تلمحين ؟

كلاريس : أثناء المشاجرة التى اشتركت فيها الآن لم تتحدث قط عن نفى المذنب الى الجانب الآخر من الأرض حين علمت أن ابنك هو ذلك الذى ستقع عليه العقوبة ... لا تدافع اذن عن عدم وجود شيء سوى المبادىء . فهناك مشاكل البشر والعواطف والأحاسيس والغـريزة وأمور لا سـبيل الى التنبؤ بها .

سيبرآن : أوافق على أنه قد كان لدى معيارات دون أن

أتنبه ، ومع ذلك فلا تظنى أن چـان يستطيع الاعتماد أكثر من ذلك على ضعف شـديد من ناحيتى ، واذا لم يبد خضوعا سريعا ، فسيكون هو الذى يجب أن أرسله فورا حيث ينبغى أن يكون .

كلاريس : من أين تستمد هذه القوة ؟ لم تكن لديك هذه القوة الا تجاه شخص آخر لم يكن يقاومك فاذا رفض ابنك أن يذهب ...

سيبران : ماذا ؟

كلاريس : أجل ... ماذا تستطيع أن تفعل ؟ ماذا ستفعل ؟

سيبران : أنا ... أنا ... اذن أنت توافقين على تهديده الغبى ؟ أترين أنه من المستحسن أن يستمر فى مشروعه القـذر ؟

كلاريس : انك لا تبحث فى المكان الذى يوجد فيه المخرج؟

سيبران : وأين هذا ؟

كلاريس : بالاختصار لم يقل چان انه كان يحلم بأن تستمر هذه العلاقة الى الأبد . ومن ناحية أخرى تبينت جيدا أن أتّا على استعداد للعدول عن سلوكها . فخذ أنت على عاتقك أن تقرب بينها وبين زوجها.

سيبران : ماذا تعرضين علىّ ؟

كلاريس : لقد أخبرتنى أنك أنت الذى حرض دونسير على الطلاق ، فربما تحوله سلطتك عليه عما قام به من اجراءات ..

سيبران : أتملص على هذا النحو ! أنكر كل ما أدعو اليه من التشدد فى المسائل التى تمس شرف الحياة الزوجية ! . كل ما أعتقد دون قيد أو شرط ! سحقا .. سحقا له !

كلاريس : اذا منعت أنّا من أن تكون حرة فى الزواج مرة ثانية ، فان هذه هى الوسيلة الحقيقية التى تمنع چان من أن يتزوجها .

سيبران : ولكن تصورى ماذا سأقترف بهذه الفعلة . هل تتخيلينني أعمل لاعادة هذا الرجل الفاضل الى أحضان امرأة ذات سلوك شائن ؟

كلاريس : ومع هذا فلك مطلق الحرية فى الاختيار ، وانني أكرر القول بأنه لابد أن تبقى أنّا زوجة لدونسير أو زوجة لابنك . فهل تفضل أن تكون زوجة لابن عمك أو زوجة لابنك ؟ المشكلة كلها تكمن هنا .. فماذا تختار ؟

سيبران : (يبذل جهده للسيطرة على نفسه) اننى حاقد عليك للضغط علىّ هكذا بصفة قاطبة ، اننى حاقد عليك لأننى أهنت حين شعرت بأن شيئا من التردد قد تسرب الى نفسى .. اسكتى ! .. اسكتى ! ..

كلاريس : ومع ذلك ..

سيبران : (وقد ارتد الى شخصيته) كفى .. اننى فى حاجة الى مواجهة نفسى ، اننى فى حاجة الى استنشاق الهواء فترة وجيزة ، كما يجب على فضلا عن ذلك أن أقدم اعتذاراتى للضابط پاڤاى .

كلاريس : (وقد تملكها الفزع) أوه أرجىء هذا الموضوع. فى الظرف الذى لا يتهم فيه ابن عمك الا ذلك الشخص ...

سيبران : ان پاڤاى برىء ، ولا داعى الى أن أرجح ما سوف يعود علينا من فائدة بضرره .

كلاريس : لن تقول له أن يحتفظ بوظيفته معك ؟

سيبران : سآمره بذلك .

كلاريس : أوه ! .

سيبران : وهكذا سأشعر بأننى تراجعت أمامه بقدر ما يجب على نحوه .

كلاريس : اسمع أيضا ..

سيبران : لن أسمع شيئا على الاطلاق . (يخرج سيبران من مؤخرة المسرح) .

كلاريس : (بمفردها خائرة القوى) انه سيبقى !

الفصل الثالث

نفس الديكور

(النوافذ مغلقة والأنوار مضاءة ، ومن خلال الباب المؤدى الى الردهة ؛ نرى السماء تغشاها الظلمة شيئا فشيئا ، ثم يسدل الليل أستاره على الحديقة) .

المنظر الأول

(أنّا – چان)

(عندما يرفع الستار تكون أنّا بمفردها على المسرح . يصل جان من الباب الأيمن) .

چان : أخبرونى أنك فى انتظارى ...

أنّا : نعم .. لقد خرج الجنرال لانجاز بعض الأمور ، وتكفلت كلاريس بأخبارك بأننا سنجد هنا مؤقتاً مكانا خاليا .

چان : هل قصت عليك خبر المشاجرة التى نشبت الآن بين أبى وبينى ؟

أنّا : (تتنهد) ليس من طبيعة هذه القصة أن تخفف ما بنفسى من ألم .

چان : انك توافقيننى على تصميمى على زواجى منك سواء وافق الجميع أم رفضوا ؟

أنّـا : اننى متأثرة جدا من تصرفك بمثل هذا الاخلاص نحوى .

چان : لم يساورك الشك من ناحيتى ، أليس كذلك ؟

أنّـا : طبعا لا .

چان : أى صديقتى المسكينة ! أنّا العزيزة !

أنّـا : (تبعد عنها هذه الحركة الرقيقة) كن رزينا !

چان : أوه . هل تحقدين علىّ بسبب ما حدث ؟

أنّـا : اننى لا ألومك أكثر مما ألوم نفسى .. ولكننا نجتمع الآن لبحث مشكلة تطغى على كل شىء .

چان : سمعا وطاعة .

أنّـا : لا أريد أن أكون سبب نزاع رهيب بينك وبين والدك .

چان : ليس لك أن تتدخلى فى هذا الموضوع .

أنّـا : انك ما زلت شـابا .. وسأضيف جريمـة الى خطيئتى اذا وافقت على أن تضحى بفـرص المستقبل الجميلة من أجلى .

چان : ولكن لن تكون هناك ثمة تضحية ! سأكون سعيدا جدا ..

أنّـا : اسمح لى أولا أن أشركك فى الحديث الأخير الذى دار بينى وبين كلاريس .

چان : فليكن .

أنّـا : انها ترى أن الصلح بينى وبين زوجى لم يعد أمرا ميئوسا منه تماما .

چان : آه .

أنّـا : ربما ساعدونى فى الحصول على عفوه ، وأنت تفهم أن هذا العفو هو الذى أتمنـاه بكل اخلاص ودون أى غرض ، هذا مع ما اتخذته من قرار أكيد بألا أكون بعد ذلك ملكا لك ..

چان : أفهم جيدا .

أنّـا : بما أن زوجى لا يشك فى أنك أنت الذى ..

چان : (موفرا عليها التحديد) نعم ... وبعد ؟

أنّـا : سيكون اذن فى استطاعتهم أن يحاولوا العمل بطريقة تجعله لا يصب جـام غضبه عليك ، وهكذا تبقى العلاقات العائلية السطحية قائمة بيننا جميعا .

جان : استمرى فى الحديث .

أنا : بالاختصار ، اذا تمت هذه التسوية ، فستكف أنت من الآن فصاعدا عن النزاع مع أبيك . وليس هناك ما يدعو الى أن تفضح أمرك أمام زوجى ... أما أنا فلن ينكشف سلوكى وستبقى سمعتى سليمة لا يلحق بها سوء ، ولن تضطرب حياتى .. والآن أتساءل عما اذا لم تكن هذه الطريقة لتسوية الموضوع هى الطريقة المفضلة؟

جان : (فى تأمل واع) يا الهى .. لا أستطيع انكار ذلك على الاطلاق .. ان هذا ممكن .. ومن الواضح ..

أنا : (فى رشاقة) هذا هو ما كنت أريدك أن تعترف به ! ..

جان : كيف ؟

أنا : هذا ما كان يهمنى أن أدعك أنت بنفسك تنطق به !

جان : ماذا ؟ أكان ذلك فخا ؟

أنا : اطلاقا ، لقد وضعت تحت تصرفك الوسيلة التى

توقفنا نحن الاثنين منذ هذه اللحظة عند النقطة التى كان يتشبث فيها أحدنا بالآخر .

جان : انك ظالمة جدا فى تعبيرك عن نفسك على هذا النحو ! فلنفترض أن زوجك كان صعب المراس، فلن يبقى على استعداد للارتباط بك نهائيا هنا سواى .

أنّـا : كفى . لقد اعترفنا فيما بيننا بأن زواجنا أصبح أسوأ ما يكون ، فهـل أعتبر الآن أن هـذا الزواج أمر مرغوب فيه بالتنازل المتبادل .. أو بالخضوع ؟ وهل أقبل أن أتزوج فحسب لأننا لا نرى أن نفعل شيئا أفضل من ذلك ؟ آه . هذا لن يكون .. و .. هل تريد أن أعلمك بما كان ينبغى أن تجيب به علىّ عندما أعلنت اليك فكرة عودتى الى زوجى .

جان : (موتورا) اننى قطعا متطلع الى معرفة الدرس الذى أعددته لى . أريد أن أعرف بسرعة لماذا أصبحت تصرفاتك عدائية الى هذا الحد ..

أنّـا : (منفعلة بكلامها هى نفسها) حسن ، ان أبسط قواعد اللياقة كانت تحتم عليك أن تجيبنى منذ

لحظة بأن الكارثة التى حلت بنا لم تكن مصيبة واحدة .. ان فرصة الطلاق التى كانت ستتيح لى أن أكون ملكا لك كلية والى الأبد ، كنت تستطيع أنت العمل على مساندتى حتى لانفقدها، بل نتنهزها وتتمتع بها اذا كنت لا تزال نفس الشخص قبل أن تنال منى مأربك .. وحينئذ كنت أشاور نفسى فى قلق وأنا أصغى اليك ، كنت أسائل نفسى اذا كان لدى الحق فى استردادها بعد أن سلمتها ، وشعرت حينذاك بلحظة شك مؤلمة لذيذة ...

چان : لم يخطر ببالى حقا كل هذا التعقيد ، لقد أحببتك ببراءة .. بقلب طيب ..

أنا : كان ينبغى أن تكون حساسا ! كان يجب أن تهلع لفكرة عدم امتلاكك اياى الى الأبد ، كان يجب أن تبدى رغبة فى اختطافى ! .. وحينئذ كنت أعارضك معارضة قاطعة .

چان : إذن ؟

أنا : ولكننى كنت وجدت فى ذلك ملاطفة ، مواساة عن الزلة التى تعرضت لها من أجلك .. انك

لم تقل ما كان ينبغى أن تقوله لأنك انسان صغير لا قلب له .

(يتهدج صوتها) .

چان : أرجوك يا أنا أن تهدئى وألا تستسلمى لهذا الحزن .

أنّا : اغرب عن وجهى ! اغرب عن وجهى ! .

چان : يا الهى . اننى أكاد أشعر بالرغبة فى ذلك ولا أدرى أين أنا ، أنا لا أدعى أننى على معرفة كبيرة بالنساء ، ولكن صدق من قال عنهن — وأنا مسئول عما أقول — انهن مستعصيات على الفهم .

أنّا : (باكية دائما) انك لأحمق صغير ! .

چان : الأجدر بك أن تعترفى بأنك أذهلتينى بحماقتك منذ بداية هذا الحديث ..

أنّا : أوه !

چان : طبعا ! لقد شرحت لى منذ لحظة أن أمنيتك الغالية هى أن تستعيدى حياتك مع رجل تمقتينه .

أنّا : أنا أمقت زوجى ! .. ماذا تختلق ؟

چان : انني لا أفعل سوى ترجمة تعبيراتك الشخصية. عندما كنا بمفردنا هذا الصباح أكدت لى أنه يخيل اليك أن حياتك بدأت من جديد .

أنـا : فى مثل هذه الحالة يقول الانسان أشياء كثيرة. أوه ! .. أشياء غير معقولة !

چان : قلت لى ان الشخص الذى عشت معه حتى اليوم أصبح يثير اشمئزازك .

أنـا : لم أقل ذلك !

چان : أنّا ! . ما هذا .. ولقد أضفت ...

أنـا : هذا غير صحيح ! ..

چان : ماذا بك يا أنّا ؟

أنـا : انك أنت الذى يحرضنى على التفوه بمثل هذا الكلام . ولكن لم يكن لدى أى ميل لنقد زوجى من تلقاء نفسى خاصة وانى لست امرأة تنتهز فرصة غيابه فلا يستطيع حينئذ أن يدافع عن نفسه ...

أنـا : وليكن . لقد أسأت فهمك ، وانني لأمتنع عن اثارتك أكثر من ذلك .

أنـا : نعم لا تصر ، فلن يكون كل ما تقوله بعد

ذلك الا بغيضـــا ، وتناس ما كان لكلمـــاتى الأخيرة من حدة .

جان : (فى حنان) هذا هو ما سيكون نسيانه أيسر على من أى شىء آخر .

أنـــا : (فى حزن) ومع ذلك فالنسيان سيكلفك بكل تأكيد عذابا أقل من أى شخص آخر .

(تصاحب هـــذه الكلمة الأخيرة باشارة تومىء بهـــا جهة اليسار مشيرة الى شقتها) .

جان : أتريدين أن أتركك ؟

أنـــا : نعم ، أريد ذلك ..

جان : اذن ليس لدى سوى أن أتمنى لك حظا سعيدا.

أنـــا : أشكرك .. اننى أشكرك .

(يخرج جان من جهة اليمين)

المنظر الثانى

(أنّا ـ كلاريس)

(تدخل كلاريس من مؤخرة المسرح) .

كلاريس : هل رأيت چان ؟

أنّا : لقد خرج من توه .

كلاريس : هل تغلبت الحكمة ؟

أنّا : نعم . انتهى كل شىء ، انقطعت علاقتنا .

كلاريس : ما عليك الآن الا التفكير فى استرداد زوجك .

أنّا : أعتقد أن نجاح المشروع يتوقف على المساندة التى ستقدمينها أنت وزوجك . هل ستحملين الجنرال على الشفاعة من أجل مصلحتى ؟

كلاريس : فى هذه اللحظة لابد أنه محصـــور فى محيط تفكيره الخاص ، وأنا لا أستطيع التكهن على أية حال بأنه سيعود .. كل ما أستطيع فعـله فقد حاولته قبل رحيله . ان رغبته القوية فى وضع العراقيل حتى يمنع چان من الزواج بك قد

زعزعت مبادئه لفترة وجيزة ولكنها لم تقتلعها تماما ، فاعتمدى على نفسك الى حد بعيد .

آنـا : واأسفاه ! .

كلاريس : ان عودة دوشسيير وشيكة فلا تقابليه بهـذا المظهر المضطرب وذلك الوجه المرهق مما يجعله يستعيد فى قسوة ذكرى ما دار اليوم . اغسلى عينيك وحاولى أن تستعيدى هيئتك العـادية التى تذكره بالسعادة .

آنـا : لقد ألقيت بنفسى بين يديك ، فما على الا اطاعتك طاعة عميـاء . ولكن قبل أن أنسحب ، هناك شيء سيكون لطيفا بالنسبة لى ...

كلاريس : ما هو ؟

آنـا : أحب أن أشعر بأنك الآن تحملين لى أكثر من الشعور بالشفقة .

كلاريس : اننى متأثرة كما لو كان الأمر يتعلق بى .

آنـا : اننى فى أشد الحاجة الى الاعتقـاد بأنه على الرغم مما حدث فما زلت أحتفظ بعض الشيء بمكانتى عندك .

كلاريس : قبلينى .

أنتا : آه ! هذا ما كنت أريده (تتعانقان) آه ! كم أنت طيبة ! أشعر وكأنك أخت لى .

كلاريس : طبعا .

أنتا : والآن سأذهب وقد استعدت كل قواى .

(تخرج أنتا من جهة اليسار) .

المنظر الثالث

(كلاريس . ومن المؤخرة يدخل « باڤاى » مرتديا ملابس مدنية) .

كلاريس : (فى ذعر) أأنت هنا ؟

باڤاى : لقد بارح مسيو سيبران منزلى على التو ، ومحت تصرفاته معى كل ما قاله لى من سوء ، وقد أمرنى بالبقاء .

كلاريس : وجئت تطلب منى أن أوافق على ذلك ؟

باڤاى : جئت أتوسل اليك أن تفهمى أننى قبلت ذلك فى الحال دون تردد ، ودون تمحيص ...

كلاريس : اننى أستحق ما يحدث لى ، انها غلطتى ، أعرف ذلك ، فاننى تحدثت اليك دون أى تحفظ !

باڤاى : لا تندمى على أنك أفضيت الىّ بأنه ربما توجد راحة فى حياة مثل حياتك عندما تشعرين الى جوارك بقلب يرثى دائما لك ، ويحزن لكل ما يصيبك من ألم .

كلاريس : لقد جعلتنى أتمادى أكثر مما يجب ! لقد أثبت

لنفسى وأظهرت أمامك الاهتمام المفرط الذى أوحيت به الىّ . لقد ذهبت الى حد عرفت فيه بأننى كدت فعلا أصبح غيورا . وهكذا رفع عن وجهى القناع الذى كان من الممكن أن أخفى تحته فرصتى الأخيرة لفرضه عليك الآن .

باقاى : بعد أن أطلعتنى على أن هناك مشاعر جميلة بدأت تتفتح نحوى فى نفسك فلن تمنعينى اطلاقا — وهذا حق — من الاعتقاد بأن السعادة يمكن أن تزدهر بيننا ، ولن أيأس بعد الآن من أن أكون محبوبا .. انى أتمنى ذلك بكل حرارة ..

كلاريس : أوه ! لا تأمل! لا تأمل فى شىء ! ، وفيم تأمل ؟ اذا كنت أشاركك عاطفة الحب تمام المشاركة ، فلن تكون نتيجة ذلك لنا نحن الاثنين الا أن نتألم ألما مريرا ..

باقاى : لماذا نتألم ؟ لماذا لا نكون سعيدين ؟ لماذا ؟

كلاريس : من الواضح فعلا أنه ما من عقبة يمكن أن تبعث فى نفسك الحيرة ، فقد كان منزلك شاهدا على وجود وسيلة للتفاهم مع المرأة

الأخرى التى فى هذا المنزل ، ولعلك تتخيل بسرعة التدابير التى تقودنى بعدها الى المكان نفسه الذى تمت فيه تلك المقابلة .

بانثاى : ينبغى أن يحمينى تقديسى لشخصك من هذه النغمة القاسية . أى حقد دفعك الى استرداد الخير الذى صنعته من أجلى ، ولما يمض وقت طويل على مصارحتك لى بمشاعر غاية فى العذوبة؟ تذكرى كم كنت متأثرة ، وكم كنت منذ لحظة واحدة حنونا الى درجة مثالية ! وتذكرى كيف كان صوتك يتهدج .

كلاريس : اننى أتذكر كل ذلك أكثر مما يجب . لقد أثرت فى نفسى أحاسيس اعتقدت أنها لم تعد سوى مشاعر عدلت عنها ، مشاعر كبتها هنا ، ألقيت بها الى الوراء ، مشاعر تحاول أن تنبض من جديد .. وفعلا لمحت تحت تأثيرك لمدة وجيزة امكانية خيالية لمصير آخر .. كان ذلك ضوءا خافتا ، لهبا يمر منك الى وجودى البارد .. نعم، قلت لنفسى حينئذ فى ذهول « من يعرف الشخص الذى من أجله وجدت فى الحياة ؟.. من يدرى؟..

من يدرى اذا لم يكن ذلك الشخص هو أنت نفسك ؟ » .

باقاى : أوه ! هل عبرت بخاطرك هذه الرؤيا !

كلاريس : فى لحظة وداعك ، ناجيت نفسى أيضا قائلة : فى تلك الساعة التى أنا فيها من مصيرى ، ليس لحدث الحب العظيم سوى فرحة واحدة . وحينما اختفيت ، شعرت بشىء ما يحتضر فى نفسى ، وفقدت — فى نفس الوقت الذى استطاع أن يولد فيه — أملى الوحيد فى حياة أخرى على هذه الأرض .

باقاى : باسم أى شىء تحرمين نفسك من مشاعر قوية كهذه ؟ ماذا يفيدك من الآن فصاعدا من واجب بغيض الى نفسك ، من هذا الرباط الذى جانبه التوفيق ، حيث تصطدمين بطبيعة تختلف كثيرا عن طبيعتك وبسن لا ينسجم مع سنك ؟ .. ما من نظرة من نظراتك أو كلمة من كلماتك الا وهى تنزع الى الحب ، وكل مايبكى فى أعماق الروح ، وكل ما ينادى فى القلب وينشد .. هذا كله يردد لك بأن عاطفتى تقدم لك ما تنتظرينه منها . انك

تعلمين جيـــدا أنه ما من امرأة خلقت محبوبة ومشـــتهاة أكثر منـــك .. أنت تدركين جيـــدا اعترافى المذهـــــل بجميـــلك والملـــذات التى ستنعمين بها اذا ما أحبتنى ! اذا ما أحبتنى ! ..

كلاريس : (فى نشوة) عندما أصغى اليك أشـــعر بحمى لا أدرى كنهها تصعد الى رأسى . والمســـتقبل يتفتح والامكانيات تتابع .. آه . الخروج من العزلة الأخلاقية حتى ولو كان الانسان بمفرده ، انه يشعر دائما بأنه اثنان ، هو وذاته ممتزجان فى نفس واحدة . يتحدث ، يضحك ، يصمت ، يفكر ، يتصرف ، يترك نفسه ليعود الى الوجود معها ، يصاحبه دائما انطباع بأنه يعيش فى الحب كما لو كان يعيش فى عطـــر دافىء ينتشر فى صيف متصل .. لا يشعر بأن احساساته تتلاشى وتفنى ، ولا يخفيها فى خوف تحت ضـــغط التهديد المتواصل بالتأنيب ، بالســـخرية .. أو بسبب القلق الذى تخلقه المبادرة الى حد ما الى ارضاء الغير ، لأن الأسوأ كما ترى ، ليس هو أن يكون السيد الذى تنتسب اليه محدثا لاذع

اللهجة ، أو رفيقا مر اللسان ، فربما كان ذلك أيضا محتملا اذا كان هو نفسه أحيانا لا يتحول الى دائنشهم ندين له بالحب الذى لا نشعر به.

باقاى : (فى حـدة) لا أريد أن تكونى ملكا له على الاطـلاق !

كلاريس : اصمت ! .

باقاى : أريد أن تكونى لى .. لى أنا وحدى !

كلاريس : (تبتعد عنه) لا تسىء فهمى ! .. اذا كان لابد أن أحبك ، واذا وصلت فى حبى لك الى الحد الذى أهبك فيه نفسى ، حين أصل الى هذه الدرجة من الحب سأصارح زوجى بأننى سأغادر منزله لكى يرتب أموره تماما من ناحيتى ، دون أن أحتفظ أنا بأية منفعة على الاطلاق . وسأخرج دون أن أحمل معى سوى الثوب . الذى أرتديه، لأننى عندما دخلت هذا المنزل كانت لدى على الأقل بعض الثياب . فى هذه الظروف توقع أن ترانى قادمة اليك .

باقاى : آه يا صديقتى ! ما دمت لا تخافين صـنوف الحرمان والآلام ، والجهد الجسور ، والكفاح

من أجل الحياة .. فى هذه الحالة اربطى مصيرك بمصيرى ، ولا تعارضى فى ذلك . فلنرحل معا ! فلنرحل ! (يريد باڤاى أن يمسكها) .

كلاريس : (وهى تتخلص منه) أرجوك !

باڤاى : لا تدفعينى !

كلاريس : نعم ! . اتركنى ! .. لقد أكدت لك انه فى اليوم الذى لا أستطيع فيه أن أشك فى نيتى لأن أكون ملكا لك سأذهب لألقى بنفسى بين ذراعيك ، ولكن يجب قبل كل شىء أن أتشاور بعمق مع نفسى وأجمع شتاتها فى غيابك .. اننى فى حاجة ماسة الى وقت ، الى أسابيع لا أراك فيها ..

باڤاى : أوه ! كيف !

كلاريس : اذا أصررنا على أن نلتقى فستظهر لك يوما بعد يوم مطالب ، وتنتابنى أنا ألوان من الضعف . لا أريد أن أرتكب رذيلة التنازلات المتزايدة .. لا ريد أن أهب نفسى بالتجزئة ، ستملكنى دفعة واحدة ، ستملكنى دون تحفظ اذا كنت .. لا أستطيع حاليا أن أقول انك لن تحصل علىّ اطلاقا .. ولذلك فأنا أعيش فى المجهول ، فى

سيبران : (لپاڤای) ألا تغرب عن وجهی ؟

كلاريس : (لپاڤای بلهجة آمرة) اذهب !

باڤای : (لكلاريس) أنا طوع أمرك !

سيبرآن : أخرج من هنا ! أخرج من هنا !

(يخرج باڤای متراجعـــا
من مؤخرة المسرح) .

المنظر الخامس

(كلاريس ــ سيبران)

سيبران : (خارجا عن طوره) أنت ! أنت التى تفعلين ذلك ! .. وبينما كنت أمنحك ثقتى المطلقة كنت تسخرين منى . كنت تخدعيننى بصورة منحطة .

كلاريس : لم أبق فى حضرتك الا لكى أحدد ثقتك بى بالقياس الى حكمك علىّ . فلن أتركك تعتقد أننى كنت أستطيع العيش الى جوارك فى جو من الخديعة والنفاق ؛ والتصرف الوحيد الذى يعتبر فى حياتى وصمة بالنسبة اليك هو ذلك الذى رأيته الآن .

سيبران : معروفة تلك النغمة المتكررة التى يلجأ اليها فى حالات التلبس بالجريمة حيث يكون لدى الانسان شىء ينبغى انكاره . كفى ! لا تكذبى بعد الآن . منذ متى اتخذت ذلك العشيق ؟

كلاريس : اذا كانت هناك علاقة بينه وبينى ، هل كنا نقبل أن تفرق بيننا بسبب الخطأ الذى وقعت فيه هذا

أفسد أخلاقك ، اعترفى بأن هدفك الوحيد الآن هو أن تصبحى ملكا له تماما ؟

كلاديس : لقد زودتك بكل التفاصيل الدقيقة التى يجب على أن أقولها لك ، والى هنا أنهى كل حساب علىّ أن أقدمه لك .

سيبرآن : ليس لديك ما تقررينه ، سأقيم الحواجز بينك وبين المتواطىء معك . فلا تتحركى من عندى قبل اصدار أوامر جديدة ..

كلاديس : لن أبقى هنا وفق مشيئتك ، لن أبقى لتعذبنى بغيرتك التى سببتها لك ، مثلما خنقتنى طويلا باستبدادك .

سيبران : ان ما تثيرينه لشنيع . ماذا . أكنت عدوة لى من زمن بعيد وتخفين عنى ذلك ؟ .. ان تحفظاتك وعواطفك الباردة كنت أنسبها فى بلاهة الى العفة ، بينما كان ذلك نفورا فظيعا ؟ كنت تبغضيننى من أعماق نفسك ؟ لقد أبغضتنى دائما.

كلاديس : ليس دائما .. لقد حملتُ لك عند زواجنا عاطفة كاملة . وانك لتستحق ذلك لحرصك على الشرف ولما تتمتع به من المزايا الشخصية .. غير أن

شراسة طباعك كثيرا ما آلمتنى .. ان وثبات قلبى ، وطرق معيشتى ، لم ترض عنها فى بساطة كما حملتها أنا اليك . الترويض هو رياضتك المفضلة ، لقد أردت تقويم سلوكى وتفكيرى ومعتقداتى وطبيعتى ، ربما يستطيع الانسان أن يقوّم كل شيء عدا عاطفة الحب اذ يداخلها شيء من الخوف هو ضرب من الحقد .. انظر ، اليك أفضل ما أعطانى مفهوم الحـالة التى أوصلتنى اليها : كنت أحيانا تصحبنى بعـد الانتهاء من الغذاء لكى أشاهدك وأنت توزع جزءاً من الحـلوى على جيادك ، وبينا كان هـذا الحصان منها أو ذاك يأكل من راحتك كنت لا أستطيع أن أحول انتباهى عن عينه السوداء التى كانت نصف دائرة بيضـاء فيها تفصح فجأة عن شيء من الذعر المتيقظ دائما . فالخفة فى التقهقر والتمهل المحاذر فى العودة .... وهذه الطريقة التى يشوبها القلق فى النظر الى سيد كل يوم كما لو كان غريبا أبديا ، يلاطف بالصوت كما يهاجم بالمنخاس ... وبعد فان هذه

الصـــورة كانت تجعلنى أفكر فى كل مرة أنه فى اللحظات التى كنت تحسن فيها معاملتى ، كنت أرى صـــورتى فى ذلك الحيوان المرتجف الى حد ما .

سيبرآن : كان ينبغى أن تضعى فى الكفة الأخرى المزايا التى حصلت عليها منى . فانك تغضين النظر جدا عن النزاهـــة التى يشرفنى أن ظهرت بها فى اختيارك زوجة لى ...

كلاريس : انتى لا أريد بالضبط أن أسمعك تشير الى أنك تزوجتنى خالية الوفاض ، وهـــذا رد سريع يعجبنى ، انتى لأشعر براحة وأنا أغادر منزلك أشد فقرا مما دخلت ، فعلى الأقل كنت عذراء حين دخلته .

سيبران : تسلحى بكل الوسائل ولا تمنحينى شيئا ، وليكن ... ولكن كان يليق بك المعارضة قبل أن تزلى . عندما كان لك الحق فعلا فى رفع صوتك ... لماذا لم تفض الى بشكواك منى ؟ لماذا لم تنبهينى لأراقب نفسى ؟ لمـــاذا لم تفعلى ذلك بتروى المرأة الشريفة التى عهدتها فيك .

كلاريس : هناك ضروب من النشاط لا نشـــعر بها الا فى

العاصفة والغرق . ولكى يعرف الانسان كيف يثور ينبغى أن يوجد فى نفسه شيء آخر سوى الفضيلة .. اننى أجهل أى اسم أطلقه على القوى التى تبعث الآن الشجاعة فى نفسى . لن يكون ذلك أيضا حبا حقيقيا لشخص آخر ، وليس هو الآن حقدا عليك ، انها حيوية فى نفسى تبعث للحياة . انها غريزة تدفعنى الى أن أحيا حقيقة نصيبى من الحياة . انه أخيرا التعطش لاستنشاق الجزء الذى يخصنى ، انها نسمة من البعث !

سيبران : اذا كنت قد جعلت منك ضحية فأنا أعترض على ذلك ، اننى كنت جلادا دون أن أتنبه الى ذلك.. اننى قاس ، أعترف بذلك . كنت ولا شك قاسيا .. ولكن احترامى لك كان ينطوى على شيء من التقديس . كنت الاخلاص ذاته ، وكنت أنت عاطفتى الوحيدة .

كلاريس : اننى لا أعترض ؛ واليوم وقد أصبحت أمامك وحسب القوانين كلها مذنبة ، أعترف بأنك لم تتح لى باعثا صريحا يبرر تصرفى ضدك ، كما لم ترتكب نحوى ظلما بمعنى الكلمة . لا ينبغى أن

أشعر بعد الآن بأنك كنت دائما صارما ، ومن المحتمل أنك كنت متعاليا علىّ . أجل ، ان شعور الخجل من المنظر الذى آلمتك به هنا ، وأخلص مشاعر الاحترام نحوك ، هذه هى العاطفة الأخيرة التى سأحملها معى .

سيبران : لحظة ! . اننى مصر على أن أقول لك انك قد دفعتنى أمام أخطائك الى الاعتراف بأخطائى .

كلاريس : لندع ذلك جانبا !

سيبران : نعم .. لقد كنت أيضا فظا منذ لحظة وأنا أعترف بأنه كان الأجدر بك أن تكاشفينى بشكواك . كان ينبغى على أن أتعمق الآلام التى كانت تختفى تحت ملامح وجهك تعمقا مباشرا . كانت مهمتى ورسالتى أن أكتشف أنا بنفسى ما تخفيه أنت بدافع من الكرامة الحية والكياسة اللطيفة ...

كلاريس : أرجوك .. كف عن الكلام الطيب الذى يزعزع خطواتى عند افتراقى عنك .

سيبران : نفترق .. انك أنت دائما التى لا تتطلع الا الى مثل هذه الأشياء .

كلاريس : أقول لك انه فى اللحظة التى تتخلص فيها من امرأة

أهانتك ، فان رجلا مثلك ينبغى ألا يتصور ما هو أفضل من ذلك .

سيبران : (فى غضب منهـزم) لم أفترض حقيقة أن فى السعادة المحطمـة يمكن أن نعلق أى ثمن على تجميع الأجزاء المتناثرة . لقد وصلت الآن الى هذه المرحلة فاننى ألجأ الآن الى هذا المخرج ، اننى أتخبط فى هذا البؤس ، ومع ذلك لا أفكر الا فى استعادة حياتى معك ؟

كلاديس : أوه ! . ما هذا ! .. ماذا فهمت من قولى لك ان السعادة تلوح لى بالبعد عنك ، بالانفصال عنك .. أكرر لك القول بأننى فى حاجة الى السعادة .. كنت أريدها ! اننى أريدها .

سيبران : أجل .. هذا ما يطن فى أذنى . ومع ذلك أشعر بأننى ما زلت أحبك على الرغم من المخالب التى تدمى كبريائى . أحبك حبـا يملك على كل جوارحى وسأحبك الى الأبد ! ..

كلاديس : أوه !

سيبران : بعد أن أصبحت نصفى الآخر تماما خلال هـذه

السنين الطوال ، لا أستطيع أن أفترق عنك ؛ لا أستطيع ذلك .

كلاريس : ولكن تذكر قليلا ما تفوهت به من عبارات لا سبيل الى اصلاحها . ما الذى تريد اصلاحه فيما بيننا ؟ .. كل وهم لك قد انعدم .. أين هى ألوان العهود التى تعيد اليك ظلا من الثقة بى ؟

سيبران : بمجرد ألا تغادرى مكانك هذا سيعرف كل منا بماذا يلزمك هذا التصرف . سأثق فيك ثقة تامة لرعاية هذا الاتفاق الجديد .

كلاريس : كلا ! أرجوك كلا ! لا تطلب منى أن أقبل السجن مرة أخرى ، فى الوجود الذى حطمت جدرانه .

سيبران : مهما قاسيت منى ، فقد انتقمت انتقاما شنيعا . سأظل الى الأبد مدركا أننى أصلحت اصلاحا كليا .. الى أى حد ينبغى أن أذل نفسى لأثنيك عن عزمك ؟ أنا لم أدخر وسعا فى الألم والأنين..

كلاريس : أوه .. لا تحرمنى من حرية الارادة .

سيبران : (يجهش بالبكاء) لست هنا لاستجداء الحب ، ولكن عندما ترينني أتألم وأرتعد بكل أعصابى، ستشعرين بشىء من العدل والرحمة ..

كلاريس : لم أعد أدرى ! . لم أعد أدرى ...

سيبران : لأننى كنت مستبدا ، يكون من الانصاف أن أعانى الهجران والوحدة الكئيبة والسخرية فى سنى هذه ، والفضيحة العلنية .. كل الأشياء التى أؤثر عليها الموت فورا ..

كلاريس : (وقد أذهلها التهديد بالانتحار) آه . أجل كل هذا حقيقى ..

سيبران : اذا كنت أستحق هذا الدمار والعار فأكديه لى الآن ، أعلنيه الى للمرة الأخيرة ، وحينئذ يكون كل شىء قد قيل .

كلاريس : أنت على حق .. ليست لى ارادة ... فاحتفظ بى.

سيبران : آه . لقد استقر رأيك ؟

كلاريس : (بعد ايماءة بالايجاب) سأكفر ..

(تجهش بالبكاء) .

سيبران : كلاريس !

كلاريس : (مختنقة بالدموع) لا تدفعنى الى الكلام اطلاقا ..

سيبران : أريد أن أقول ...

كلاريس : لا تتحدث بعد .

سيبران : احترسى ! . ها هو دونسيير !

المنظر السادس

(كلاريس ... سيبران)

(دونسيير قادما من المؤخرة) .

دونسيير : لقد تصرفت بسرعة (لسيبران) سيسير كل شيء حسب مشورتك .

سيبران : ماذا وراءك ؟

دونسيير : استطعت مقابلة المحامى الذى ذهبت لاستشارته.

كلاريس : أوه ! يا صديقى لن تمضى فى متابعة الانتقام من أنثا ! انها مخلوق ضعيف ، لعوب ومغر لم يخلق ليعيش فى التقلبات الشديدة ، واذا ألقيت بها بعيدا عن طريقك فماذا تريد أن يكون مصيرها ؟

دونسيير : لقد اختارت عشيقا ، فلتحتفظ به ! فلتتزوجه !

سيبران : كم تتمادى فى غيك !

دونسيير : انها فكرتك .

سيبران : ليكن .. ولكن لابد أن تطلقها أولا .

دونسير : لدى الضمان الذى يخولنى الحق فى أن أحصل على الطلاق خلال بضعة أسابيع ، بمجـرد أن أحصل على موافقة خصمى ..

سيبران : لم تعد زوجتك توافق .

دونسير : (يستشيرهما بالنظر الى كلٍّ منهما) من الذى أقنعها ؟

كلاريس : لقد تحدثت اليها طـويلا ، فان الخطـأ الذى ارتكبته اليوم ليست له سابقة ، ولن تلحق به أخرى .. فلا تقبل أنت أن تسقط أنّا فى يوم وليـلة !

دونسير : ولكن سوف تعاملانها — أنتما الآخران — على أنها امرأة ساقطة .

كلاريس : من أين أتيت بهذا الكلام ؟

دونسير : لقد أنذرنى زوجك أنه حتى لو احتفظت بها فلن تستمر علاقتك بها (لسيبران) لقد قلت لى ذلك؟

سيبران : لن أقوله بعد الآن .

دونسير : آه ... انها زوجتك التى غيرت منك ؟

سيبران : أجـل .

دونسير : سيكون ولا شك لذلك تأثير على تفكيرى ..

ولكن لا أستطيع مع ذلك اهمال كل ما قلته لى هنا هذا الصباح . كنت ترسم لى بشدة السلوك الذى أتمسك به . فقلت لى اذا أخذ منك زوجتك انسان لارتويت من دمه .

سيبران : يتصور المرء ذلك بحكم التقاليد ويردده بالوراثة ولكن عندما تتناول الحادثة عن كثب ففيم تفيد جريمة القتل ؟ ماذا تعوضنا المبارزة عما سلب منا؟

دونسيير : ومع ذلك كنت تحبذ أن أبارز هذا الباقاى .

سيبران : لا تذكر اسمه اطلاقا ! فمنذ عدة ساعات كنت أعتقد أنه يجب على أن أعاقبه من أجلك ، ولدى هنا خطاب كتب وفقا لمشيئتى يطلب فيه نقله الى مكان يبعد عنا أربعة آلاف فرسخ (لكلاريس) أليس كذلك ؟

كلاريس : نعم .

سيبران : (بعد أن دق الجرس) حتى يبت فى مصيره فهو مطرود من عندى ، لن يراه أحد منا بعد الآن . (للخادم الذى دخل) ضع هذا فى البريد (يخرج الخادم) هكذا قد تقرر كل شىء .

دونسيير : لكن ذلك لن يقرر كل شىء بينى وبين زوجتى ؛ كان يجب أن تكون أول شخص يدرك ذلك ، انه

أنت الذى كان يدفعنى منذ وقت قصير لأسير فى اتجاه لا أجدك فيه الآن اطلاقا .

سيبران : لقد كنت متسرعا .

دونسيير : أخيرا ، اعتدت أن أراك عنيدا فى الآراء التى تعبر عنها ، وفجأة تتناقض مع نفسك بسهولة تجعلنى مبلبل الفكر .

كلاريس : عليك أن تنصت لما يقال لك الآن : دع قناتك تلين !

دونسيير : أعترف بأن نظريات سيبران قد تحكمت فى نفسى .. فالكرامة الانسانية جعلتنى أبعد فى الحال رغبة خفية بألا أهدم أسرتى .

كلاريس : فلتعد اذن الى تصرفك التلقائى .

دونسيير : نعم ، ولكن لقد أثبت لى التفكير أن العفو يمكن أن يصبح قاسيا كالقطيعة تماما ، اذ يجد الزوج نفسه كل يوم وجها لوجه مع زوجته وبينهما هذه الفكرة ، هذا المشهد ..

سيبران : (لكلاريس فى عصبية) أجيبى ! . أجيبى !

كلاريس : (لدونسيير) سوف تسترد زوجتك على حساب آلامك وشعورك الممزق . ستشعرك أن لك

حقوقا أشد الزاما من ذلك اليوم الذى لم يكن تشعر فيه الا بأنك جعلتها شريكة حياتك ، فلا تمنع نفسك من فعل الخير . وساعد نفسك على نسيان نزوة يوم عابر . وكن مغيثا ولن تندم على ذلك . اننى متأكدة مما أقرره لك . صدقنى، أقول لك صدقنى !

سيبران : (فى عمق) هيا صدقها .

دونسيير : آه ! والله ! عندما أتحسس قلبى ، عندما أستعيد السنين التى كانت فيها زوجتى مصدر كل سعادتى ! ..

كلاريس : لعلك تخمن بأى نفاد صبر تنتظر هى قرارك ...

دونسيير : فلتعرف كيف تقنعنى بندمها ، وأنا سأحاول أن أضيف الى ذلك ثقتى .. ثم أسفار وأسفار .. سأجد دون شك السكينة .. والقضاء على هذه الذكرى .. وربما ترى فى شخصى يوما ما نموذج الزوج الذى اقتنع بأن زوجته لم تحب غيره قط حتى حين كانت بين ذراعى رجل سواه ...

كلاريس : (فى حرج) أتوسل اليك ...

دونسيير : (لسيبران) وستسخر منى ؟

سيبرآن : كلا .

كلاديس : (لدونسيير) أرجوك لا ترجىء قط الذهاب اليهـا .

دونسيير : لقد قضى الأمر . سأذهب اليها .. سأذهب ..

(يخرج دونسيير من جهة اليسار)

المنظر السابع

(كلاريس ... سيبران)

سيبران : (فى حركة تتابع دونسيير) لو حدث ذلك أمس لحكمت عليه بأنه شخص مضحك ودنىء .

كلاريس : هل كنت أحسن حالا بالأمس ؟

سيبران : كنت أقل معرفة بنفسى .

كلاريس : (فى تواضع) ومن ذا الذى يعرف نفسه ؟

(تمت)

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٤٨ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندرمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلوبى	سمرست موم
٦	الغريبان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ا . ر . لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة القادرة	جون جالزوردى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنوك	جول رومان
٢١	جوتو والطاووس	شين أوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ماتعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برنارد شو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك أبسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س • ن • بيرمان
٣٧	سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجر الدردار	يوجين أونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خدماتهم	سومرست موم

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	پوچين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	آل باريت	رودلف بيزيه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثيا لوركا
٤٨	الخاطبـــة	ثورنتن ويلدر

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج مؤسسة الخانجى بالقاهرة
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت .